شرح حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه

«لبيك اللهم لبيك»

دار اللباب

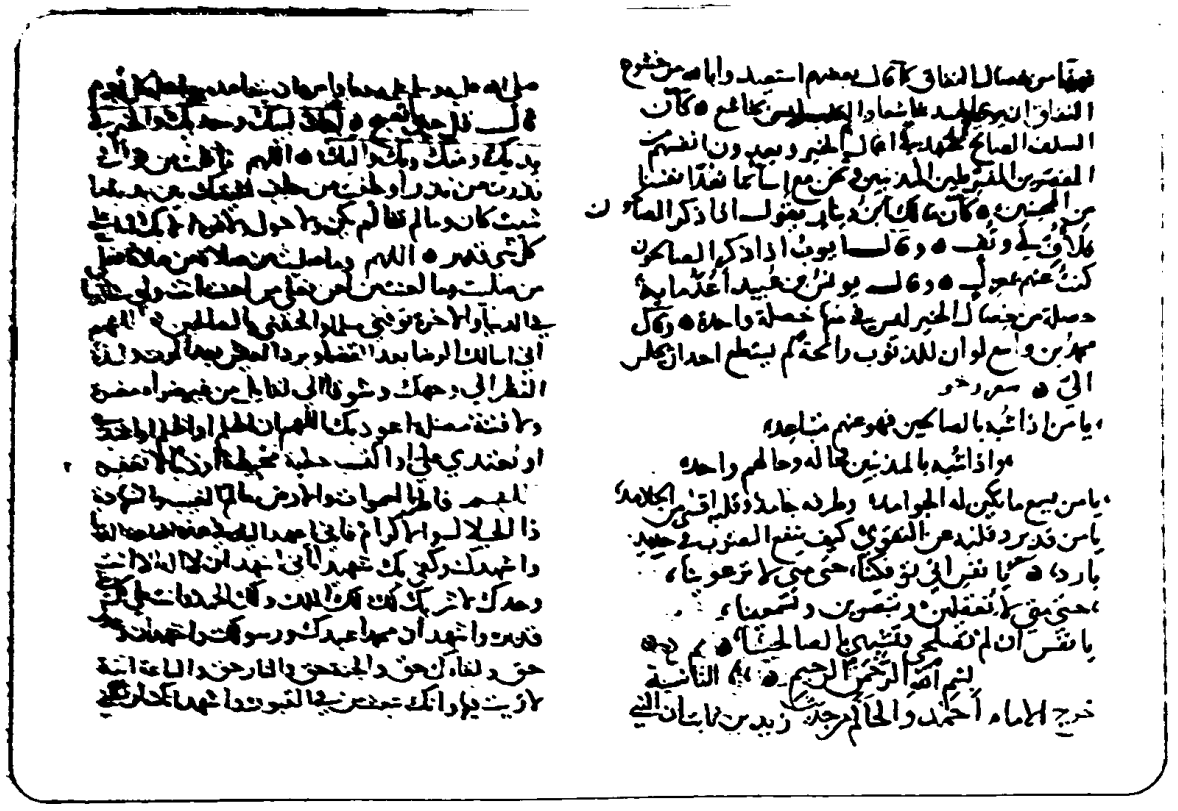

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

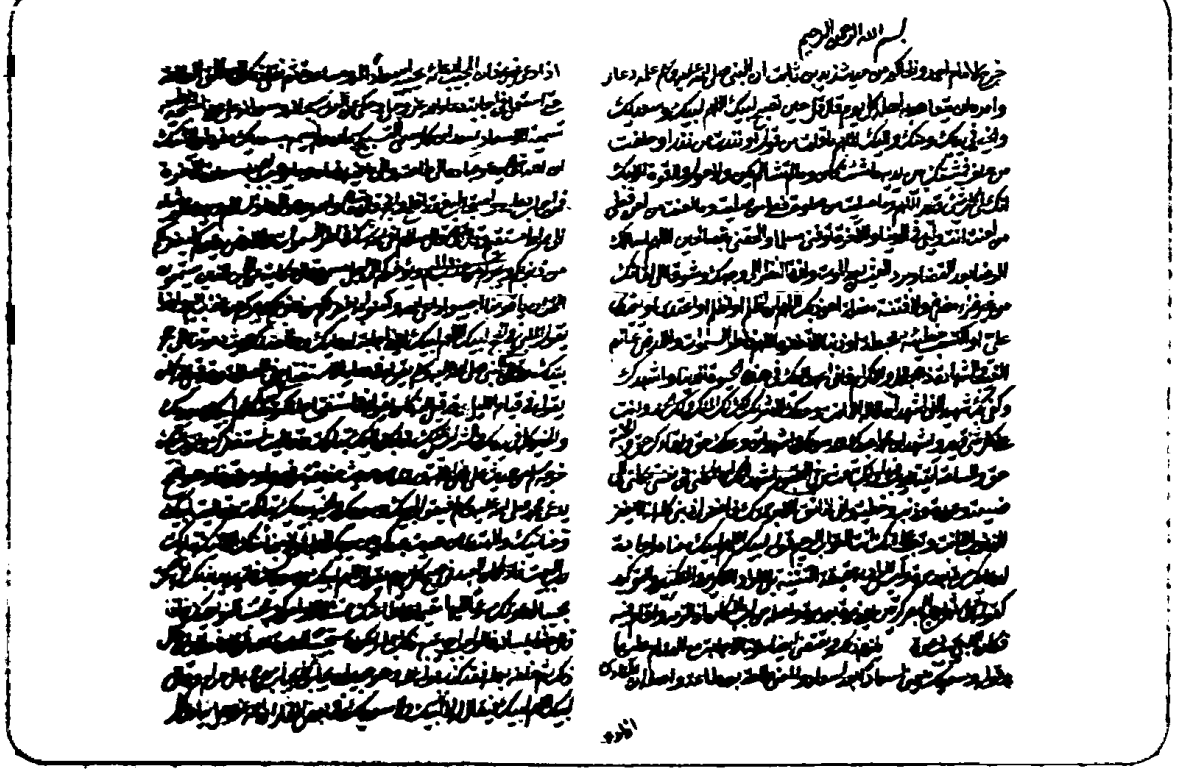

مركز جمعة الماجد (ج)

فهذا من خصال النفاق كما قال بعضهم استعيذ وإياه من خشوع النفاق أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع ٥ كان السلف الصالح يجتهدون في أعمال الخير ويعدون أنفسهم المقصرين المفرطين المذنبين ونحن مع إساءتنا نعد أنفسنا من المحسنين ٥ كان مالك بن دينار يقول إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بعيدا ٥ وقال أيوب إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بعيدا ٥ وقال يونس بن عبيد أعد مائة خصلة من خصال الخير ليس في منها خصلة واحدة ٥ وقال محمد بن واسع لو أن للذنوب رائحة لم يستطع أحد أن يجلس إلي ٥ سمر وخير

يا من إذا شبه بالصالحين فهو عنهم مباعده
وإذا شبه بالمذنبين فحاله وحالهم واحده
يا من وسع ما يكن له الجوامد وطرفه جامد وقلبي من الجلامد
يا من قد برد قلبه عن الهوى كيف ينفع الصوب في حديد بارد ٥ يا نفس إلى كم أنت هكذا حتى متى لا ترعوين
حتى متى لا تقطعين وتبصرين وتسمعين
يا نفس إن لم تصلحي وتقضي بالصلاح ٥ هم ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الثانية

خرج الإمام أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يدعو به كل يوم قال قال حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك أنت على كل شيء قدير ٥ اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ٥ اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدي علي أو أكتسب خطيئة محيطة أو ذنبا لا تغفره اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهدك وكفى بك شهيدا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور وأشهدك أن تكفني

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يدعو به كل يوم قال قال حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك أنت على كل شيء قدير ٥ اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ٥ اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدي علي أو أكتسب خطيئة محيطة أو ذنبا لا تغفره اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهدك وكفى بك شهيدا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور وأشهدك أن تكفني

مركز جمعة الماجد (ج)

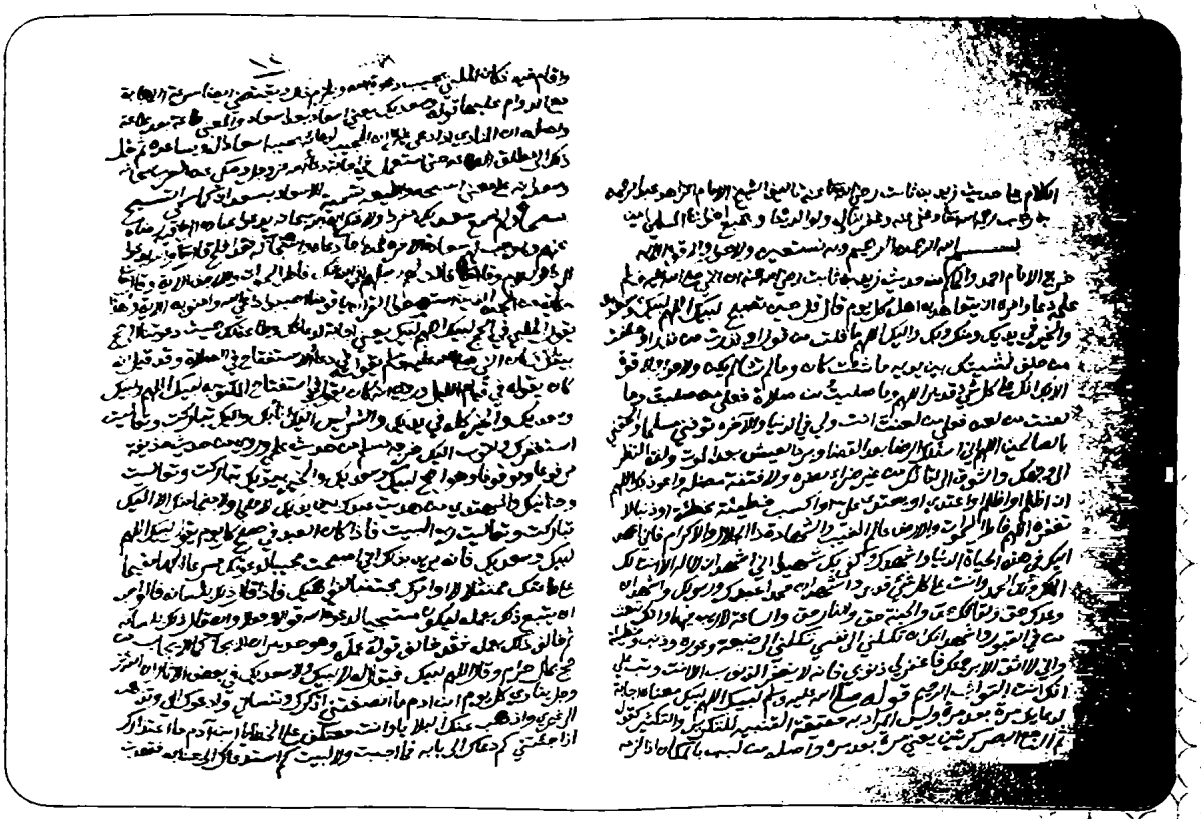

مكتبة الرياض العامة (س)

مكتبة جامعة الرياض (ر)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله السميع لمن ناداه، القريب ممن ناجاه، المجيب لمن دعاه، المثيب لمن اتقاه، الرقيب المجازي لمن عصاه. والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فإن الله عز وجل قد أمر عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، قال عز من قائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فسمى الدعاء عبادةً. قال ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «إن الدعاء هو العبادة» ثم قرأ ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي..﴾، وهذا كقوله ﷺ: «الحج عرفة» أي الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم في الحج، وقوله ﷺ: «الدين النصيحة» أي أن النصيحة بها ثبات الدين وقوته وعماده وقوامه.

وكل عبادة لها خشوع، يأتي من تدبرها والتفكر في معانيها وحقيقتها. فالخشوع في الدعاء يأتي من فهم ما يقوله الداعي ويناجي به ربه ويسأله. وأما من دعا الله تعالى وهو غافل ساه عما يناجي ويطلب فما أبعده عن أدب الدعاء وتحقق الرجاء.

ومما يعين على الحضور فيه: فهم معانيه، وهو ما قصده الإمام الحافظ ابن

رجب رحمه الله تعالى في شرح هذا الدعاء المأثور، الجامع لأسس الإيمان والعمل والسلوك، مما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا الشرح لحديث زيد بن ثابت هو صنو «شرحه لحديث شداد بن أوس» و«شرحه لحديث عمار بن ياسر» وفيها جمل ومعان مشتركة، تعين المؤمن على فهم تلك الدعوات، والعلم بما تقتضيه من العمل، والثبات على ذلك إلى حلول الأجل.

أسأل الله النفع بذلك لي ولكل من قرأه. آمين.

* * *

ذكر هذا الكتاب للحافظ ابن رجب رحمه الله:

المرداوي في «الإنصاف» (٧/ ٤٠٨)، ونقل منه، وسماه: «شرح حديث لبيك»، وذكره ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماه: «شرح الحديث لبيك اللهم لبيك»، والروداني في «صلة الخلف بموصول السلف» (ص: ٢٧٦)، والكتاني في «فهرس الفهارس» (٢/ ٦٣٦) وسمياه: «شرح حديث لبيك اللهم لبيك».

* * *

واعتمدت في إخراجه ست نسخ خطية، وبينها تفاوت كبير، فالنسخ الثلاث القديمة منها متقاربة، سقط منها كثير من الأبيات الشعرية، وبعض الآثار، وربما تجاوز مقدار السقط صفحة أو نحوها أحياناً، مما أثبتُّه من نسختين متأخرتين جداً.

مما قد يدل على محنة تعرضت لها إحدى نسخ الكتاب التي نقلت عنها النسخ المتقدمة في القرن التاسع الهجري ذهبت ببعض المواضع منه، والله تعالى أعلم.

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي في ضمن مجموع (١٥٧) وقد تقدم وصفه في المقدمات. وهي الرسالة الثانية منه، وليس في أولها عنوان لها، لكن في أول المجموع في فهرس رسائله: «شرح حديث لبيك اللهم لبيك وسعديك».

وتقع في (١١) لوحة (من ١٢/ أ إلى ٢٣/ أ) وبعد ذلك خرم في المجموع يقدر بأربع أو خمس ورقات، ذهب معه آخر الرسالة وأول ما يليها ـ ولم يراع ذلك في ترقيم صفحات المجموع.

لم يذكر اسم الناسخ في رسائل هذا المجموع، إلا أن إحدى رسائله نسخت سنة ٨٥٢.

النسخة الثانية: النسخة المقدسية في الجامعة بالقدس، ورمزها (ع).

وهي في ضمن مجموع قد تقدم وصفه في المقدمات، وهي الرسالة الثانية من رسائل ابن رجب فيه، وليس في أولها عنوان لها، وتقع في (٢٣) لوحة (من ١٠٨/ أ إلى ١٣٠/ ب).

ناسخ المجموع: إبراهيم بن علي بن أحمد بن بريد الديري القادري، وتاريخ نسخ إحدى رسائله سنة ٨٥٥.

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة الفاتح في إصطنبول، ورمزها (ف).

وهي في ضمن المجموع (٥٣١٨)، وقد تقدم وصفه في المقدمات. وهي الرسالة الثانية منه، وليس في أولها عنوان لها، لكن في أول المجموع فهرسة رسائله، وجاء فيها: «شرح حديث لبيك اللهم لبيك وسعديك» وتقع في (٢٧) لوحة (من ١٧/ أ إلى ٤٣/ أ).

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣.

النسخة الرابعة: نسخة مركز جمعة الماجد، ورمزها (ج).

وهي في ضمن مجموع برقم (٩٠١٦٢٨) جاء العنوان في أولها: «شرح بعض الأدعية المأثورة للإمام الهمام الورع الزاهد العابد الحافظ ابن رجب تلميذ شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى آمين».

وهي في (١٨) لوحة (من ٨٦/ أ إلى ١٠٣/ ب) وهي بخط أبي خليل محمد ابن حسين الأنصاري اليماني[1] بتاريخ الأحد ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٠٧.

النسخة الخامسة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية، ورمزها (س).

وهي في ضمن مجموع برقم (٥٢٧/ ٨٦) من وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف، وهي الرسالة الثالثة منه، جاء العنوان فيها: «الكلام على حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه»، وفي فهرس المجموع في أوله: «شرح حديث زيد بن ثابت». وتقع في (١٥) لوحة (من ٣٢/ أ إلى ١٠٣/ ب).

لم يذكر اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وهي من خطوط القرن الرابع عشر، فإحدى الرسائل مؤرخة بـ ١٣٣٣، وأخرى مؤرخة بـ ١٣٥٦.

---

(١) هو الشيخ العالم المحدث محمد بن حسين بن محسن بن محمد الأنصاري الخزرجي السبعي - وتتصحف في بعض المصادر إلى السعدي - اليماني. ولد في الحديدة باليمن سنة ١٢٧٣، ورحل إلى بهوبال في الهند سنة ١٢٩١، ودرَّس في ندوة العلماء بلكنهو، وتوفي في بهوبال سنة ١٣٤٤ رحمه الله تعالى.

له ترجمة في «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» لعبد الحي الحسني (٨/ ١٣٣٩).

النسخة السادسة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (ر).

وهي في ضمن مجموع برقم (١٨١٧)، وهي الرسالة الأولى منه، جاء العنوان فيها «شرح حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه»، وتقع في (٩) لوحات (١/ ب إلى ٩/ ب)، وقد اعتنى صاحبها بمقابلة الأوراق الأولى منها، وكتب الفروق على الحواشي وكتب الأسقاط على جذاذات إلا أنه عدل عن ذلك، فهي نسخة مختصرة وليس فيها سياق الكتاب بتمامه وإنما ذكرت قطع مختارات منه، لذلك عدلت عن المقابلة بها بتمامها.

ناسخ المجموع: عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن، وتاريخ نسخه في سنة ١٣٦١.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

***

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا به[1]

خَرَّجَ الإمامُ أحمدُ والحاكمُ مِنْ حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ رضي اللهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمهُ دعاءً وأمرهُ أنْ يتعاهدَ بهِ أهلَه كلَّ يومٍ.

قال: «قُلْ حِينَ تُصبِحُ: لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ وسَعْدَيكَ، والخيرُ في يَدَيكَ، ومِنْكَ وبِكَ وإليكَ.

اللَّهمَّ ما قلتُ مِنْ قولٍ أَوْ نذرتُ مِنْ نَذْرٍ أو حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ فمَشيئَتَكَ بينَ يَدَيهِ، ما شِئتَ كانَ، وما لم تَشَأ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بكَ، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اللهمَّ وما صليتُ مِنْ صلاةٍ فعلى مَنْ صَلَّيتَ، وما لَعنْتُ مِنْ لَعْنٍ فعلى مَنْ لعنتَ، أنت وليِّي في الدُّنيا والآخرةِ، توفَّني مُسلِماً، وألحقني بالصالحين.

اللهمَّ إنِّي أسألكَ الرِّضا بعدَ القَضا[2]، وبَرْدَ العَيشِ بعدَ الموتِ، ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجهِكَ، وشَوقاً إلى لِقائِكَ مِنْ غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّة، أعوذُ[3] بكَ اللهمَّ أنْ أظلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أعتَدِيَ أو يُعتَدَى عَلَيَّ، أو أكتَسِبَ خَطِيئَةً مُحيطة[4] أو ذَنباً لا تَغْفِرُه.

---

(١) «وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا به» من (س). وفي (ت) و(ع): «فصل».

(٢) رسمت في النسخ بلا همز، ولعلها مع أمثالها تُقرأ بالمد لا بالهمز، والله أعلم.

(٣) في (س) و(ر): «وأعوذ».

(٤) في (ع) و(س): «أكسب». «محيطة»: المثبت من (ت) و(ف)، وهو الموافق لما شرحه المصنف، وفي (ج) و(ر) والمطبوعات من «مسند الإمام أحمد» وغيره: «مُحبطة»، وفي (ع) و(س) وحاشية (ر): «مخطئة». ولا توجد هذه اللفظة في «المستدرك».

اللهمَّ فاطرَ السمواتِ والأرضِ[1] عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ ذا الجلالِ والإكرام، فإنِّي أعهَدُ إليكَ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، وأُشهِدُكَ وكفى بكَ شَهيداً أني أشهَدُ أن لا إله إلا أنتَ وحدَكَ لا شَرِيكَ لكَ، لكَ المُلْكُ ولكَ الحمدُ وأنتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُك ورسولُكَ، وأشهَدُ أنَّ وعدَكَ حقٌّ، ولقاءَكَ حَقٌّ، والجنَّةَ حقٌّ [والنَّارَ حقٌّ][2]، والساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّكَ تبعثُ مَنْ في القُبُورِ، وأشهدُ أنَّكَ إنْ تَكِلني إلى نَفسي تَكِلني إلى ضَيْعَةٍ وعَوْرةٍ وذَنْبٍ وخطيئةٍ، وإنِّي لا أَثِقُ إلا برَحمَتِكَ، فاغفرْ لي ذَنبي كُلّه، إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ، وتُبْ عَليَّ إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ»[3].

* * *

(١) في حاشية (ف) باللغة التركية: «دعاء عهدنامه»، وهذا يعني: دعاء وثيقة العهد.

(٢) هي في النسخ المخطوطة، لكنها ليست في «المسند» ولا في «المستدرك» ولا في غيرهما من مصادر الحديث.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٦٦٦)، والحاكم (١/ ٥١٦) وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» كلاهما من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب؛ فعند الحاكم: عنه عن ضمرة عن زيد رضي الله عنه. وعند أحمد: عنه عن ضمرة عن أبي الدرداء عن زيد رضي الله عنهما.

قال الذهبي: «أبو بكر ضعيف، فأين الصحة؟».

وقال ابن حجر في «إتحاف المهرة» (٤/ ٦٢٨): «بل أبو بكر ضعيف، وأظنه منقطعاً» يعني إسناد الحاكم.

ولا يخفى على ابن رجب رحمه الله ما في إسناده من ضعف وانقطاع، لكن تصرفه يعني صراحة: أنه مثل سائر العلماء يقبل تلك الضعاف في فضائل الأعمال والدعاء والذكر مما لا مخالفة فيه لما هو أقوى منه من دلائل الشرع. ولولا أنه يرى ذلك لَمَا تكلَّف شرح هذا الحديث بطوله. والله تعالى أعلم.

قولُه ﷺ: «لبَّيكَ اللهمَّ لَبَّيكَ» معناهُ: إجابةً لدعائِكَ مرةً بعدَ مرةٍ، وليسَ المرادُ بهِ حقيقةَ التَّثنِيَةِ، بل المرادُ: التَّكريرُ والتَّكثيرُ والتَّوكيدُ، كقولهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [تبارك: ٤] يعني مَرَّةً بعدَ مرةٍ، وأصلُه مِنْ لَبَّ[1] بالمكان إذا لَزِمَهُ وأقامَ فيه، فكأنَّ الملبِّيَ يجيبُ دعوةَ اللهِ، ويلزمُ ذلكَ، ويقتضي أيضاً سُرْعةَ الإجابةِ مع الدَّوامِ عليها.

وقوله ﷺ: «وسَعْدَيكَ»: يعني إسْعاداً بعدَ إسْعادٍ، والمعنى: طاعةً بعدَ طاعةٍ، وأصله: أَنَّ المناديَ إذا دعا غيرَه فإنَّ المجيبَ لدعائِه يُجِيْبُه إسعاداً له ومُساعدةً، ثم نُقِلَ ذلكَ إلى مُطلَقِ الطَّاعَةِ حتى استُعْمِلَ في إجابةِ دعاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وحُكِيَ عَنِ العَرَبِ: «سُبْحانَه وسُعْدَانه» ـ على معنى: أُسبِّحُهُ وأُطِيعُه ـ تَسمِيَةُ الإسعادِ بِسُعْدان كما سُمِّي التَّسبيحُ بِسُبْحان، ولم يُسمعْ سَعْدَيكَ مُفْرداً[2].

ولا شَكَّ أنَّ اللهَ تعالى يدعُو عِبادَهُ إلى طاعَتِه وإلى ما فِيهِ رضَاه عَنْهُم، وما يُوجِبُ لهمْ بِهِ سعادةَ الآخِرة، فمَنْ أجابَ دُعاءَه واستَجابَ له فَقَدْ أفلَحَ وأَنْجَح، قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، وقالَ تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقالَ تعالى حكايةً عَنِ الجِنِّ الذينَ استَمَعُوا القرآنَ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١]، ولهذَا يقولُ المُلَبِّي في الحَجِّ: «لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيك» يعني إجابةً لدعائِكَ، وطاعةً لكَ حيثُ دعَوْتَنا إلى حَجِّ بيتِكَ.

---

(١) في (س): «لبَّب»، ولبَّب أصل لَبَّى.

(٢) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني (٢/ ٨٨).

وقد تصحفت «بسعدان» إلى «لسعدان» وكذلك «بسبحان» إلى «لسبحان» في (ت) و(ع) و(ف).

وكانَ النبيُّ ﷺ يقولُ في دُعَاءِ الاستِفْتَاحِ في الصَّلاةِ ـ وقد قيل: إنَّه كان يقولُه في قيامِ اللَّيل، ورُوِيَ[1] أنَّه كانَ يقُولُه في استِفْتَاح المكتُوبَة ـ: لبَّيك اللَّهمَّ لبَّيكَ وسَعْدَيكَ، والخيرُ كُلُّهُ في يَدَيكَ، والشَّرُّ ليسَ إليكَ، أنا بِكَ وإليك، تباركتَ وتعاليتَ، أستغْفِرُكَ وأتوبُ إليكَ» خَرَّجَهُ مُسلِمٌ من حديثِ عليٍّ رضي اللهُ عنه[2].

ويُروى مِنْ حَدِيثِ حُذَيفةَ مَرفوعاً، ومَوقوفاً وهو أَصَحّ: يُدْعى محمدٌ ﷺ، فيقولُ: «لبَّيكَ وسَعْدَيك، والخيرُ بيَدَيكَ، تباركتَ وتعالَيتَ، لبَّيكَ وحَنَانَيكَ، والمهتدي[3] مَنْ هَدَيتَ، عبدُكَ بينَ يَدَيكَ، لا مَلْجَأ ولا مَنْجَى مِنْكَ إلا إليكَ، تباركتَ[4] رَبَّ البيت»[5].

---

(١) في (ج): «وقد قيل: إنه» بدل «وروي».

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) في ضمن حديث طويل: أنه كان إذا قام إلى الصلاة ﷺ... وليس فيه: «لبيك اللهم» وإنما «لبيك وسعديك» فحسب. وجاء تقييد الحديث بكونه في المكتوبة عند أبي عوانة (١٦٠٨) ولكنَّ مسلماً أورده ضمن أحاديث الدعاء في صلاة الليل!

(٣) في المصادر: «والمهدي».

(٤) في (س): «تباركت وتعاليت»، والزيادة موافقة لما عند الطبراني وأبي نعيم، لكن ليس عندهما تتمة الحديث هنا.

(٥) هذا لفظ المرفوع. والحديث مداره على أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه.
فرواه شعبة وغيره موقوفاً: أخرجه الطيالسي (٤١٤)، والبزار (٢٩٢٦)، والنسائي (١١٢٩٤)، والحاكم (٢/ ٣٦٤)، وصححه على شرطهما، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٨٦).
وخالفهم ليث بن أبي سليم وعبد الله بن المختار فروياه مرفوعاً: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٠٥٨)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٤٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٨٥). وهذا إن كان موقوف اللفظ فهو مرفوع المعنى.

فإذا كان العبدُ في صُبْح كلِّ يومٍ يقولُ: لبَّيكَ اللهمَّ لبيكَ وسَعْدَيكَ؛ فإنَّه يريدُ بذلكَ أنِّي أصبحتُ مُجيباً لدعوتك، مُسرِعاً إليها، مُقيماً على طَاعَتكَ، ممتَثِلاً لأوامِرك، مُجتنباً لنواهيك، فإذا قالَ هذا[1] بلِسانِه: فالواجبُ أنْ يُتبعَ ذلكَ بعَمَلِهِ ليكونَ مُستَجِيباً لدعوةِ اللهِ قولاً وفِعلاً، وإنْ قالَ ذلكَ بلسانه ثمَّ خالَفَهُ[2] بعَمَله، فقَدْ كَذَّبَ[3] قولُه عمَله، وهو جَدِيْر أنْ يُجاب، كما[4] يُجابُ مَنْ حَجَّ بمالٍ حَرامٍ، وقال: لبَّيكَ اللهمَّ لبيكَ، فيقالُ له: لا لبيكَ ولا سَعْدَيك[5].

وفي بعضِ الآثارِ: إنَّ الله عَزَّ وجلَّ يُنادي كلَّ يومٍ: ابنَ آدم: ما أنصَفْتَني، أذكُرُكَ وتَنْساني، وأدعوكَ إليَّ وتذهَبُ[6] إلى غَيري، وأُذْهِبُ عَنْكَ البَلايا وأنتَ معتكفٌ[7] على الخَطايا، ابنَ آدم ما اعتذارُكَ غَداً إذا جِئْتَني»[8].

كَمْ دعاكَ إلى بابِهِ فما أجبتَ[9] ولا لَبَّيت؟! كم استدعاكَ إلى جَنَابِهِ فقعدتَ وأَبَيت؟! كَمْ عُرِضَتْ عليكَ واجِبَاتُه فتكاسَلْتَ وتَوانَيت؟! وزُجِرْتَ عَنْ مَنْهِيَّاتِهِ فما

---

(١) في (س): «ذلك».

(٢) في (س): «ثم خالف ذلك».

(٣) في (س): «خالف».

(٤) في (س): «جدير أن لا يجاب كما لا».

(٥) أخرج ابن مردويه في «ثلاثة مجالس من أماليه» من حديث عمر رضي الله عنه (٤٤) مرفوعاً: «من حج بمال حرام فقال: لبيك اللهم لبيك، قال الله عز وجل له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك» وفي سنده رجل ضعيف.

(٦) في (ج): «فتذهب عني».

(٧) في (ج): «تعكف».

(٨) ذكره القشيري في «الرسالة» (٢/ ٣٧٨) من كلام سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى. لكن المصنف أورده في «لطائف المعارف» (ص ٥٠٨) على أنه من الآثار الإسرائيليَّة.

(٩) في (ج): «رحبت».

انزَجَرْتَ وتَمادَيت؟! كم سَمعتَ دُعاءَ داعي الحقِّ فتصَامَمْتَ، وكَمْ رأيتَ آياتِه في الخَلْقِ فتعَامَيْت؟! فيا مَنْ جَسَدُه حَيٌّ وقَلْبُهُ مَيْت، يا ليتك أجبتَ مناديَ الهُدى حينَ ناداكَ يا لَيْت!.

يـا نفـسُ ويحَـكِ قـدْ أتـاكِ هُداكِ ... أجيبـي فداعِـي الحـقِّ قـدْ نَـادَاكِ

كَـمْ قَـدْ دُعيـتِ إلـى الرَّشـادِ فتُعْرِضِي ... وأجبـتِ داعِـي الغَـيِّ حيـنَ دَعَـاكِ[1]

طوبى لمنْ أجابَ داعي الهدى[2] إذا دعاه. يا قومَنا أجيبوا داعيَ الله.

هكـذا يـا عبـدَ سـوءٍ هكذا ... عبدُ سـوءٍ أنتَ لـم تَصلُـحْ لنا

هكـذا يـا عبـدَ سـوءٍ هكذا ... بعـدَمـا قـاربتَنا جانَبْتَنَـا

كـم قـد دعونـاك فمـا أَجَبْتَنا ... واختـبَرْنَـاك فمـا أعجَبْتَنا[3]

* * *

قـولـهُ ﷺ: «والخيرُ في يَدَيْك»: إشارةٌ إلى أنَّ اللهَ تعالى إنما يَدْعُو عبادَه إلى ما هُو خيرٌ لهم مما يُصْلِحُ دِينَهُم ودُنياهُم، وآخِرَتَهم، فإنَّه يدعُو إلى دارِ السَّلام، ويدعُوهُم لِيغفرَ لهم ذنوبَهُم، فإذا سارعَ العبدُ إلى إجابةِ دَعْوَةِ ربِّه بتلبِيَتِهِ والاستجابةِ لهَ قالَ معَ ذلكَ: (والخيرُ في يَديكَ) إشارةً إلى أنِّي استجبتُ[4] دعوَتَكَ طمَعاً في نَيلِ الخيرِ الذي كُلُّه بيدَيْكَ، وأنتَ لا تدعُو العبدَ إلا إلى ما هُو خيرٌ له في دُنيَاه وآخِرَتِه.

---

(١) ذكره المصنف رحمه الله تعالى أيضاً في «لطائف المعارف» (ص ٥٠٨) وفي «المحجة في سير الدلجة» ولم يعزه لأحد.

(٢) في (س) «داعي الله».

(٣) سقطت الأبيات من (ت) و(ع) و(ف) و(ر)، والمثبت من (ج) و(س). وقد ذكر نحوها ابن الجوزي في «المنثور» (ص: ٥٨) دار الغرب الإسلامي.

(٤) في (ت) و(ف) و(س): «أستجيب».

يا هذا! لو دعاك مخلوقٌ ترجُو خيره لأسرعتَ إجابَتَه معَ أنَّه لا يَمْلِكُ لكَ ولا لِنَفْسِه ضَرًّا ولا نفعاً، فكيفَ لا تُسارِعُ إجابةَ مَن الخيرُ كلُّه في يَدَيْهِ ولا يَدْعُوكَ إلا لخيرٍ يُوصِلُهُ إليك؟

ألم يَرِثِ التقى أنـاسُ صِـدْقٍ ... فقادَهـمُ الـتُّـقَى خيـرَ المقادِ

ألم يقـلِ الإلـهُ إلـيَّ عَـبْـدي[1] ... فكلُّ الخيرِ عندي في المعادِ[2]

* * *

وقـولُـه ﷺ: «ومِنْكَ وبِكَ وإليك» يَحتمل أن مُرادَه: أنَّ الخيرَ كُلَّهُ مِنْكَ، وبكَ وإليكَ يعني أنَّ مَبدأَ الخيرِ مِنْكَ كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] فاللهُ تعالى هو المُبتَدِئُ بالخيرِ، فمنْهُ بدأَ ونَشَأ.

والخيرُ بـه: يعني أَنَّ دوامَه واستمرارَه وثبوتَه باللهِ، ولو شَاءَ اللهُ لنزَعَه وسلَبَه صاحِبهَ، وقد قالَ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٦ ـ ٨٧] يعني أنَّ دوامَ هذهِ النعمةِ عليكَ منَ اللهِ كما أنَّ ابتداءَها منه.

والخيرُ إليه: يعني أنَّه يرجِعُ بصاحِبِه إلى اللهِ في الآخرةِ، إلى جِوارِه وقربِه في جنَّاتِ النَّعيمِ، فينتَهي الخيرُ بصاحِبِه إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ.

---

(١) في (ج): «أما يقل الإله إلي عبيدي» والمثبت من (س).

(٢) سقط البيتان من النسخ الأربعة، والمثبت من (ج)، وفيها: «ألم يرث التقوى...»، و(س)، وفيها: «ألم يرث التقى ناس صدقوا» ووزنه مختل.

والبيتان لفتى من الأزد كما في «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا (١٩٤)، وعنه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٢٥٥) وفيهما: «يرث البكاء»، «فقادهم البكاء».

ويَحْتَمِلُ أنَّ المرادَ بقولِهِ: «ومنكَ وبِكَ وإليكَ»: أنَّ العبدَ نفسَه مِنَ اللهِ وباللهِ وإلى اللهِ كما في حديث الاستفتاح: «أنا بك وإليك»[1]. ولعلَّ هذا أظهر، فيكونُ معنى الكَلامِ: أنَّ العبدَ وجودُه مِنَ اللهِ تعالى، فإنَّه كانَ عَدَماً فأوجَدَهُ ربُّه وخَلَقَه، وهُو في حالِ وجُودِه في الدُّنيا باللهِ: أي أنَّ ثباتَه وقيامَه باللهِ، فلولا أنَّ اللهَ يُقيمُ الوجودَ وما فِيه من أنواعِ الخَلْقِ لهَلَكَ ذلك كُلُّه وتَلِفَ، ومِنْ أسمائِهِ: الحيُّ القَيُّومُ. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] وفي الأثرِ المعروفِ في قِصَّةِ القَارُورَتَين: «يا مُوسى، لو نمتُ لسَقَطتِ السَّماءُ على الأرضِ»[2].

وبَعدَ انتقالِ العِبادِ من هذه الدَّارِ فإنَّ مرجِعَهُم إلى اللهِ كما قالَ تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٤]، وقالَ: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨، الروم: ١١، الزمر: ٤٤] في آياتٍ كثيرة في هذا المعنى[3].

---

(١) سقط من قوله: «أن العبد...» إلى هنا من (ف). وتقدم ذكر حديث الاستفتاح.

(٢) في حاشية (ف): «فيه كلام فتبصَّر، فإنه لم يثبت».

وقد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخطأ فيه راويه أمية بن شبل، والصواب أنه من حديث ابن عباس موقوفاً، فهذا الأثر رواه عبد الرزاق والطبري وابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] من حديث ابن عباس موقوفاً.

قال ابن كثير: «وهو من أخبار بني إسرائيل، وهو مما يُعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وأنه منزه عنه».

وخلاصة الأثر: أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن لا ينام وأن يمسك قارورتين، فلما نعس ونام انكسرت القارورتان...

(٣) في (س) و(ر): «وفي هذا المعنى» والمثبت من سائر النسخ وهو أوفق لصواب المعنى.

قالَ بعضُ العارفين: حقيقةُ التوحيدِ أنْ يكون العبدُ فانِياً باللهِ[١] عزَّ وجلَّ، يرى الأشياءَ كلَّها مِنْهُ وبِهِ وإليه[٢].

كما قالَ عامرُ بنُ عبدِ قَيس: ما نظرتُ إلى شيءٍ إلا ورأيتُهُ يدُلُّ على اللهِ[٣][٤].

تباركَ مَن أوجدَ الإنسانَ من عدمٍ ... وأقامه بلا الإله لم يقُمِ

إليه مرجعُه وهو باعِثُه ... بعد الممات من الأجداثِ[٥] والرِّمَمِ

* * *

قوله ﷺ: «اللهمَّ ما قلتُ مِنْ قولٍ أو نَذَرتُ من نَذْرٍ أو حلفتُ من حَلِفٍ فمشيئتكَ بين يديهِ، ما شئتَ كانَ وما لم تَشأ لم يكنْ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بِكَ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قدير».

---

(١) في (س): «قانتاً لله». وهو تصحيف من النساخ.

(٢) وهذا بمعنى قول الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين» (الباب الثالث من كتاب تلاوة القرآن): «فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه وإليه وبه ولَه».

(٣) في (س) و(ج): «إلا ورأيت الله فيه».

(٤) ولم أظفر بهذا اللفظ عن التابعي الجليل العابد الزاهد عامر بن قيس رضي الله عنه ولكن جاء معناه في «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (٦/ ٢٣٣) وهو يذكر صفة السابقين المقربين: «إنه إذا سَرَّ العمل خلا بربه في العمل، فبرز له وجوده على القلب في الصَّدر». ثم قال: «المقتصد أسرَّ العمل فخلا بطاعته وعُبودَتِه لا بربه، فبرز له توحيده على قلبه في صدره».

فالمقتصد: «يتولى تربية عمله التوحيد، والسابق يتولى تربية عمله ربه الجواد الكريم، فإذا أسرَّ السابق الذي هذه صفته عملاً من أعماله، فإنما يسرّه ليخلو بربه فيجده في العمل، وذلك قول عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله أقرب منه، وقول محمد بن واسع: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله فيه، فقد تباين قولاهما مع رفعة قوليهما وجلالة حظيهما في القولين»، وذكر الكلاباذي قول محمد بن واسع منسوباً إليه، وقول عامر دون تصريح بقائله في «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص: ٧٠).

(٥) سقطت الأبيات من (ت) و(ع) و(ف) و(ر).

وفي (ج) «والأجداث» والبيتان مختلفا الوزن ولم أجدهما.

ذكر الخطَّابيُّ في كتاب «الدُّعاء» له أنَّ قوله: «فمشيئتك» رُويَ بِضَمِّ التاءِ وفتحِها، وأنَّ مَنْ رواهُ بالضَّمِ: فإنَّ المعنى: الاعتذارُ بسابقِ الأقدارِ العائقةِ عن الوَفاءِ بما ألزمَ العبدُ نفسَه مِنَ النُّذورِ والأَيمان. قال: وفي هذا طَرَفٌ مِنَ الجَبْرِ. قال: والصَّوابُ: روايةُ مَنْ رواه بفَتحِ التَّاءِ على إضمارِ فعلٍ كأنَّه قال: فإنِّي أُقدِّمُ مشيئتَكَ في ذلكَ. وأنوي الاستثناءَ فيه طَرْحاً للحِنْثِ عَنِّي عنَد وقوعِ الحَلِفِ قال: وفيه حُجَّةٌ لمن ذهبَ مذهبَ المكيِّين في جَوازِ الاستثناءِ منفصلاً عَنِ اليَمين[1].

قال أبو الفرج زينُ الدين ابنُ رجبَ: قلتُ: الصَّوابُ هذا المعنى على كلا الرِّوايتينِ أعني روايةَ الضَّمِّ وروايةَ الفَتْحِ[2]، وليسَ المرادُ بروايةِ الضَّمِ الاعتذارَ بالقَدَرِ، وإنما المعنى: فمَشِيْئَتُكَ بين يَدَي ذلكَ كلِّه مُقَدَّمةٌ، فهو مبتدأٌ حُذِفَ خبرُه.

ويَشْهدُ لهذا المعنى ما خَرَّجَه أبو داود في «سُنَنِه» بإسناده عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه أنَّه كانَ يقولُ: «مَنْ قالَ حينَ يُصبِحُ: اللهمَّ ما حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ، أو قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أو نَذَرتُ مِنْ نَذْرٍ فمشيئتُك بين يَدَي ذلكَ كلِّه، ما شئتَ كانَ، وما لم تَشَأ لم يكنْ، اللهمَّ اغفرْ لي وتجاوَزْ[3] عَنِّي، اللهمَّ فَمَنْ صليتَ عليهِ فعليه صَلاتي، ومَنْ لعنتَ فعليه لَعنَتي؛ كانَ في استثناءٍ يومَه ذلك»[4].

---

(١) «شأن الدعاء» للخطابي (ص ٢١٥).

(٢) في (ج): «ورواية النصب»، وسقطت من (س).

(٣) في (ت) و(ع) و(ف): «اغفره لي وتجاوزه».

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥٠٤٦) لكنه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، لا من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وإنما روى حديث أبي الدرداء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مثله: الإمام أحمد في «المسند» (٢١٦٦٦).

فقَدْ صَرَّحَ أبو داودَ بأنَّ المرادَ بهذا الاستثناءِ بالمشيئةِ أنَّه يكونُ استثناءً في يَومِه ذلك، يعني فيما يحلِفُ[١]، وينذُره، ويقولُه في ذلك[٢] اليوم، وهذَا صريحٌ في أنَّه يكونُ استِثناءً في ما يَستَقْبِلُه مِنَ الكَلام في يومِه ذلك.

وأمَّا قولُ الخَطَّابي: إنَّه يَمنعُ[٣] الحِنْثِ، كقولِ مَنْ يقولُ ذلكَ في الاستثناءِ المنفَصِلِ[٤] بعدَ الكلام، كما حَكاهُ عن المكِّيِّين[٥]، فأصلُ ذلكَ أنَّه قد رُوي عن المكِّيِّين، كعطاءٍ[٦] ومجاهدٍ[٧].....

---

(١) في (س): «يحلف به».

(٢) في (س): «هذا».

(٣) في (س) و(ر): «يمتنع».

(٤) في (س) و(ر): «المتصل»!

(٥) في (ج): «في الاستثناء المنفصل بعد ذلك، حكاه عن المكيين».

(٦) أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء أنه قال: «من حلف على يمين، فله الثنيا حلب ناقة». انظر: «الدر المنثور» للسيوطي، تفسير الآية (٢٤) من سورة الكهف.

(٧) ذكرت كثير من كتب التفسير والشروح الحديثية والفقه والأصول: أن مجاهداً رحمه الله يقول: إن للحالف أن يستثني بعد سنتين، والذي وجدتُ له إسناداً عنه هو ما رواه ابن الجعد في «مسنده» (٨١٤) من رواية عيسى بن يونس عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: «الاستثناء ولو إلى سنتين» فقيل للأعمش: سمعته من مجاهد؟ قال: لا، حدثني ليث بن أبي سليم. ترى ذهبَ كسائي هذا.

ومعنى قوله: «ترى ذهب كسائي هذا»! أي أن أمر الإسناد قد انكشف أن فيه علة، وهي الواسطة بين الأعمش ومجاهد، والواسطة هي ليث بن أبي سليم وهو ضعيف!

وقد عزا الحافظ ابن حجر في «موافقة الخَبَر الخُبْر» (٢/ ٦١) رواية عيسى بن يونس إلى جزء لأبي موسى المديني، لكن فيها: «ولو بعد سنة»!

وقد روى هذا الأثر أبو معاوية، وعلي بن مسهر وغيرهما، عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: أن له أن يستثني ولو إلى سنة! أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١١٩)، و«الكبير» (١١٠٦٩)، وأخرجه =

وعمرِو بنِ دينارٍ[١]، وابنِ جُرَيجٍ[٢]، وغيرهم أنَّه ينفعُ الاستثناءُ بعد مُدَّةٍ من اليمينِ.

ورُويَ ذلكَ عن ابنِ عَبَّاسٍ من وُجُوهٍ[٣]، وقَدْ طَعنَ فيها كلِّها غيرُ واحدٍ منهم: القاضي إسماعيلُ المالكيُّ[٤]، والحافظُ أبو موسى المدينيُّ وله في ذلكَ مصنَّفٌ مفردٌ[٥].

ورُوِيَ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه في قولهِ تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾

= الحاكم (٤/ ٣٠٣) وصححه على شرط الشيخين! والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٨). فيبدو أن ذكر الستين وهم. والله أعلم. وقد ذكره ابن المنذر في «الأوسط» (١٢/ ١٥٩).

(١) ذكر ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٠/ ٤٣٩): قال عمرو بن دينار: «متى ما ذكر» يعني له الاستثناء، وذكره قبله الواحدي في «التفسير البسيط» (١٣/ ٥٨٣).

(٢) روى عبد الرزاق (١٦١٢١) عن ابن جريج قال: قال لي عطاء: «إذا حلف ثم استثنى على أثر ذلك عند ذلك» كأنه يقول: ما لم يقطع اليمين ويتركه.

(٣) انظر ما سبق منها في التعليق على ما روي عن مجاهد.

(٤) وهو القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي البغدادي المالكي، المتوفى سنة (٢٨٢هـ) رحمه الله تعالى.

ولعل ذلك في كتابه «أحكام القرآن» وقد وصلت منه قطع متفرقة طبعت في مجلد بتحقيق د. عامر حسن صبري. ط دار ابن حزم ١٤٢٦.

(٥) واسم كتابه: «التبيين لاستثناء اليمين» ومؤلفه هو الحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني المديني الشافعي، المتوفى سنة (٥٨١هـ) رحمه الله تعالى.

وقد ذكر كتابَه: الزركشيُّ في «المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر» (ص: ١٦١)، وكذلك ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٠/ ٤٣١)، ورواه ابن الملقن عن أبي العباس الظاهري، عن الشيخة أم محمد حبيبة بنت حمد بنت نصر الحرانية، عن الحافظ أبي موسى. ونقل منه ابنُ الملقن الروايات عن ابن عباس والكلام عليها.

[الكهف: ٢٤] قال: هي خاصةٌ للنبيِّ[1] ﷺ دونَ غيره. خرَّجهُ الطَّبرانيُّ مِنْ وجهٍ ضعيفٍ[2].

ورُوِيَ ذلك عن ابنِ جُريجٍ أيضاً[3][4].

وقالتْ طائفةٌ: إنَّما أرادَ هؤلاءِ أنَّ هذا الاستثناءَ المنفَصِلَ يحصلُ به امتثالُ قولهِ عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]، وسببُ نزولِها أنَّ قوماً سألوا النبيَّ ﷺ عن قِصَّةٍ... قال[5]: غداً أخبركُم، ولمْ يقلْ إنْ شاءَ اللهُ فاحتبسَ الوحيُ عنه مدَّةً ثم نزلتْ هذه الآية[6].

وفي الحديثِ الصَّحيحِ: أنَّ سليمانَ عليه السَّلام قال: «لأطوفَنَّ الليلةَ على مائةِ امرأةٍ...» الحديث[7].

---

(١) في (ج): «بالنبي».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١١٤٣)، و«الأوسط» (٦٨٧٢)، و«الصغير» (٨٧٦). وفي سنده: عبد العزيز بن الحصين، وهو ضعيف.

(٣) قال ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٠/ ٤٣٩): «وقال ابن جريج في هذه الآية: أي استثن إذا ذكرت، قال: هي لرسول الله ﷺ دون الناس». ولعل ذلك مما نقله ابن الملقن من جزء أبي موسى المديني.

(٤) من قوله: «وروي ذلك عن ابن عباس من وجوه...» إلى هنا، حصل في (ج) تقديم وتأخير.

(٥) في (س) و(ج): «فقال».

(٦) ذُكر ذلك في قصة طويلة رواها ابن إسحاق من حديث ابن عباس، وأخرجها الطبري (في أول الكهف) وغيره، وأوردها ابن كثير في «تفسيره» (الكهف/ الآية: ٥)

(٧) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مواضع أولها (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤). يريد سليمان عليه السلام أن تلد كل واحدة منهن غلاماً يكون فارساً يقاتل في سبيل الله، لكنه لم يقل «إن شاء الله» فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بنصف إنسان... قال ﷺ: «لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دَرَكاً له في حاجته».

وفي الحديثِ: أنَّ بني إسرائيلَ لو لم يقولُوا: إنْ شاءَ الله ما[١] اهتدَوا أبداً ـ يعني إلى البقرةِ التي أُمِروا بذَبْحِها ـ[٢].

وفي الحديثِ الذي في «المُسند» و«السُّنن»: أنَّ يأجوجَ ومأجُوج يحفِرونَ كلَّ يومٍ السَّدَّ حتى يَكادوا يَرَوا منهُ شُعَاعَ الشَّمْسِ، ثم يَنْصَرِفُون، ويقولونَ غَداً نفتَحُهُ فإذا رَجَعوا مِنَ الغَدِ وَجَدُوه كما كان أولاً[٣]، حتى يأذَنَ اللهُ في فَتْحِه، فيقولونَ: غَداً نفتَحُهُ إنْ شاءَ اللهُ، فيرجِعُون فيجِدُونه كما تَركُوه، فيفتَحُونَه[٤].

قال سعيدٌ القدَّاحُ: بلغَني أنَّ مُوسى عليه السَّلام كانتْ لهُ إلى اللهِ حاجةٌ، فطَلَبها فأبطَأتْ، فقال: ما شاءَ الله، فإذَا حاجَتُه بينَ يدَيه، فتعجَّبَ، فأوحى اللهُ إليهِ: أما عَلِمْتَ أنَّ قولَكَ: ما شاءَ الله أَنْجَحُ ما طُلِبَتْ بهِ الحَوائِج[٥].

قالَ إبراهيمُ بنُ أَدْهَم: قالَ بعضُهُم: ما سَأَلَ السَّائِلونَ مسألةً هي أَنْجَحُ مِنْ أنْ يقولَ العبدُ: ما شاءَ اللهُ. قال: يعني بذلكَ التفويضَ إلى اللهِ[٦].

---

(١) في (س): «لما».

(٢) أخرج هذا المعنى سعيد بن منصور في «سننه» (١٩٣) عن عكرمة مرسلًا، ويروى من حديث أبي هريرة مرفوعاً عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٢).

(٣) في (س): «فلا يفتحونه».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٠٦٣٢)، والترمذي (٣١٥٣) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٠٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) سقط هذا الأثر من (ت) و(ع) و(ف)، و(ر).

والأثر أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٣٥٦)، وابن بشكوال في «كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات» (١٠١). وأورده المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٩٤).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» للسيوطي، (تفسير الكهف، الآية ٣٩). وأورده المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٩٤) لكن وقع ثمة: «مسألة هي ألحف».

وكان مالكُ بنُ أنسٍ كثيراً يقولُ[١]: ما شاءَ الله، ما شاءَ الله[٢]، فعاتَبَه رجلٌ على ذلكَ فرأى في منامه قائلاً يقول: أنتَ المعاتِبُ لمالكٍ على قولِه: ما شاءَ الله؟! لو شاءَ مالكٌ أنْ يثقُبَ الخَرْدَلَ بقوله: ما شاءَ اللهُ فَعَلَ[٣].

قالَ حمَّادُ بنُ زيدٍ: جعلَ رجلٌ لرجلٍ جُعْلاً على أنْ يَعبُرَ نَهْراً فعبَرَ، حتى إذا قَرُبَ مِنَ الشَّطِّ قال: عَبَرْتُ واللهِ، فقالَ له الرجلُ: قلْ ما[٤] شاء الله! فقال: شاء الله! أوْ لمْ يَشَأ. قال: فأَخَذَتْهُ الأرضُ[٥].

فلا يَنْبَغِي لأحدٍ أنْ يُخْبِرَ بفعلٍ يفعَلُه في المُستَقْبَلِ إلا أنْ يُلْحِقَهُ بمشيئةِ اللهِ، فإنَّه ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لمْ يَشَأ لم يكنْ، والعبدُ لا يشاءُ إلا أنْ يشاءَ اللهُ لهُ، فإذا نَسِيَ هذِهِ المشيئَةَ، ثمَّ تذكَّرَها فقالَها عِنْدَ ذِكْرِها ولو بَعْدَ مُدَّةٍ فقد امتَثَلَ ما أُمِرَ به، وزالَ عنهُ الإثمُ، وإنْ كانَ لا يرفع ذلك عنه الكفَّارةَ، ولا الحِنْثَ في يمينِهِ، ولهذا في كلامِ أبي الدَّرداءِ: اللهمَّ اغفرْ لي، وتجاوزْ عَنِّي[٦]، فلمْ يَسألْ إلا رَفْعَ الإثمِ دونَ رَفْعِ الكفَّارَةِ.

وكذا رُوِي عنْ سعيدِ بنِ جُبيرٍ في قولِه تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] قال: يقول: إذا حَلَفْتَ فنَسِيتَ الاستثناءَ فاستثْنِ إذا ذَكَرتَ، ولو بعدَ خمسةِ

---

(١) في (س) و(ج): «كثيراً ما يقول».

(٢) لم تكرر في (ج) و(س) وهو الموافق لمطبوعات المصادر.

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٩٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧٩٥)، وأبو الحسين بن غنائم في الأول من «فوائده» (٣٨).

(٤) المثبت من (س) موافق للمصدر، وفي سائر النسخ: «إن».

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٣٣٩).

(٦) سبق تخريجه.

أشهرٍ أو ستةِ أشهرٍ فإنَّه يُجزِئُك ما لم تَحْنث. خَرَّجَهُ آدمُ بنُ أبي إياسٍ في «تَفْسِيره»[١].

وعلى هذا حَمَلَ قولَ ابنِ عباسٍ وأصحابِه طائفةٌ من العلماءِ منهم: أبو مسْعودٍ الأصبهانيُّ الحافظُ[٢]، وابنُ جريرٍ الطبريُّ[٣].

وكذا يُقال في هذا الحديثِ من[٤] تقديم الاستثناء[٥]، فإنَّ تقديمَه أبعدُ مِنْ تأخِيْرِه عن اليمينِ، فإنَّ اليمين لم توجد بعدُ بالكُلِّيَّةِ، وفي تأخِيْرِه قد وجدت.

وقدْ قالَ مالكٌ في الاستثناءِ في اليمينِ: إنْ ذكرَ المشيئةَ يريدُ بها الاستثناءَ نفَعَهُ ذلكَ في مَنْعِ الحِنْثِ، وإنْ كانَ إنَّما أرادَ[٦] امتثالَ قولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٤] ثم حَنث فإنِّي أرى عليه الكفَّارةَ. نقلَهُ ابنُ المنذِرِ وغيرُه[٧].

---

١) «تفسير آدم بن أبي إياس» في عداد المفقود، وذكر نحو هذا القول عن سعيد: الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٢). و«إن كان بعد يوم أو شهر أو سنة». وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (تفسير الكهف، الآية ٢٤) وعزاه إلى ابن المنذر، وفيه: «إلى شهر».

(٢) أبو مسعود أحمد بن الفرات، الرازي، الضبي الأصبهاني، المتوفى سنة (٢٥٨هـ) رحمه الله تعالى، الإمام الحافظ، له صلة بالإمام أحمد بن حنبل. ولم أظفر بقوله هذا في غير هذا الموضع.

(٣) انظر: تفسير الطبري، «جامع البيان» (١٥/ ٢٢٧)، وكذلك حمله البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠/ ١١٩).

(٤) في (ج) و(س): «في».

(٥) زاد في (س) وحدها: «في اليمين».

(٦) في (س): «يريد».

(٧) انظر: «المدوَّنة»، رواية سحنون (٢/ ١٠٩). ونقله ابن المنذر في «الأوسط» (١٢/ ١٦٤).

وكذلك حكاهُ أبو عُبيدٍ عنْ بعضِ العُلماء[١].

وتردَّدَ بعضُ العُلماء في وجُوبِ الكفَّارةِ في هَذَا القَسمِ لتردُّدِ نظَرِهِ بينَ اللَّفْظِ والمعنى، فلفظُهُ معلَّقٌ بالمشيئة، ومعناهُ الجزمُ بالفعْلِ غيرَ معلَّقٍ، وإنَّما ذكَرَ الاستثناءَ تحقِيقاً وتأكِيداً للفِعل.

وفي الجُملَةِ فينبغي حَمْلُ حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ هذا على هَذا المعنى، وأن يُقدِّمَ[٢] المشيئةَ على كلِّ قولٍ يقولُه وحَلِفٍ يحلِفُه ونَذْرٍ ينذره، ليخرُجَ بذلكَ مِنْ عُهْدَةِ استقلالِ العَبْدِ بِفعْلِه، وليتحقَّقَ العبدُ أنَّه لا يَكُونُ ممَّا يَعْزِمُ عليه العبدُ ويقولُهُ مَنْ حَلِفٍ ونَذْرٍ وغيرِهما إلا ما شَاءَه[٣] اللهُ وأرادَه، ولهذا قالَ بعدَه: «ما شِئْتَ كانَ وما لم تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، ولا حُوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بكَ إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ»، فتبرَّأَ[٤] مِنْ حَوْلِه وقوَّتِه ومَشِيئَتِه بدُونِ مشيئَةِ اللهِ وحَوْلِه وقوَّتِه، وأقرَّ لربِّه بقُدْرَتِه على كلِّ شَيءٍ، وأنَّ العبدَ عاجزٌ عنْ كلِّ شَيءٍ إلا ما أَقْدَرَهُ عليه ربُّه.

ففي هَذا الكلامِ: إفرادُ الرَّبِّ تعالى بالحَوْلِ والقُوَّةِ والقُدْرَةِ والمَشِيْئَةِ وأنَّ العبدَ غيرُ قادِرٍ مِنْ ذلك كلِّه إلا على ما يُقَدِّرُهُ مولاهُ، وهذا نِهايةُ توحيدِ الرُّبوبيَّةِ.

وللشافعيِّ رحمهُ اللهُ من أبياتٍ:

مـا شِـئْتَ كـانَ وإنْ لـم أَشَـأْ ... وما شِـئْتُ إنْ لَـمْ تَشَـأ لـم يَكُـنْ[٥]

---

(١) ذكره عن أبي عبيد أيضاً: ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٠/ ٤٣٦).

(٢) في النسخ: «تقديم» وهو سبق قلم. والمثبت من (س) و(ر).

(٣) في (ج) و(س): «شاء».

(٤) في (ج): «فيستبرئ».

(٥) روى البيهقي هذا البيت في أبيات للشافعي رحمه الله في «السنن الكبرى» (١٠/ ٣٤٨).

وقد حمل طائفةٌ منهم الإمامُ أحمدُ كلامَ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه في تأويلِ الآيةِ على وَجْهٍ آخرَ، وهو أنَّ الرَّجُلَ إذا قالَ: لا أفعلُ كَذا وكَذا، ثمَّ أرادَ فعلَهُ، فإنَّه يَسْتَثْنِي، ويقول: إنْ شاءَ اللهُ، ثمَّ يفعَلُه ويتخلَّصُ بذلكَ من الكَذِبِ إذا[1] لَمْ يَكُنْ قد حَلَفَ عليهِ بيَمِيْنٍ[2].

وكانَ يحيى بنُ سعيدٍ القطَّانُ إذا قالَ: لا أفعلُ كذا ـ لا يفعله أبداً. فإذا قِيْلَ لهُ: لَمْ[3] تَحْلِف! يقول: هذا أشدُّ ـ يعني الكذبَ ـ، لو كنتُ حلفتُ كانَ أهونَ، كنتُ أكفِّرُ يميني وأفعَلُه[4].

وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ عمَّنْ يقولُ: لا آكلُ، ثمَّ يأكلُ؟ قال: هو كَذِبٌ، لا ينبغِي أنْ يفعلَ ذلكَ[5].

ونَقَلَ الوليدُ بنُ مسلمٍ في كتابِ «الأيمانِ والنُّذورِ» عَنِ الأوزاعيِّ في رجلٍ كُلِّمَ في شَيءٍ، فيقول: نَعَمْ إنْ شاءَ اللهُ، ومِنْ نيَّتِه[6] أنْ لا يَفعَلَ؟ قال: هذا الكَذِبُ والخُلف.

---

(١) في (س): «إن».

(٢) ذكر ابن مفلح ذلك أيضاً في كتابه «الفروع» (١٠/ ٤٤٨) عن الإمام أحمد رحمه الله.

(٣) في (س): «لم لا» والزيادة مفسدة للمعنى.

(٤) في (ج) و(ر): «أكفر عن يميني» لم أجده عن ابن القطان، وإنما وجدت في «التذكرة الحمدونية» (٣/ ٧٨): قال عبد الله بن السري: قلنا لابن المبارك: حَدِّثنا! قال: ارجعوا، فإني لست أحدِّثكم. فقيل له: إنك لم تحلف! فقال: لو حلفتُ لكفَّرتُ وحدثتكم، ولكن لست أكذب. فكان هذا أحبَّ إلينا من الحديث!. وأورده الزمخشري أيضاً في «ربيع الأبرار» (٤/ ٣٤٧).

(٥) ذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٣٢).

(٦) في (س): «وما نيته إلا».

قال: إنما يجوزُ المُستثنى في اليمينِ. قيل له: فإنْ[١] قال: نعمْ إنْ شاءَ اللهُ، ومِنْ نيَّتِهِ[٢] أنْ يفعَلَ، ثم بدا لهُ أنْ لا يفعلَ؟ قال: له ثُنْياه[٣].

وهـذا يَـدُلُّ على أنَّ الاستثناءَ بالمشيئةِ في غيرِ اليمينِ إنَّما ينفعُ لمن لم يكنْ مُصَمِّماً على مُخَالَفَةِ ما قَالَه مِنْ أَوَّلِ كَلامِهِ[٤].

* * *

قَوْلُه ﷺ: «اللهمَّ ما صليتُ مِنْ صلاةٍ فعلى مَنْ صَلَّيتَ، وما لعنتُ مِنْ لَعْنٍ فعلى مَنْ لعنت»:

قـال الخطابي: «الوجـه: أَنْ ترفعَ التاءَ مِـنْ صليتُ ولعـنتُ فـي الأوَّلِ، وأنْ تَنْصِبها مِنْهما في الآخِرِ»، والمعنى كأنَّه يقولُ: اللهمَّ اصرفْ صَلاتِي ودعائِي إلى مَن اختَصَصْتَه[٥] بصَلاتِكَ ورحَمتِكَ، واجعلْ لعنَتي على من استحقَّ اللعنَ عندَكَ،

---

(١) المثبت من (س)، وفي سائر النسخ: «فإنه».

(٢) في (س): «وما بنيته».

(٣) لم أجده في مظانه، وذكره المصنف مختصراً في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٨٢): «ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته أن لا يفعل كان كذباً وخُلفاً. قاله الأوزاعي».
* تنبيه: يتداول بعض الناس منسوباً إلى الإمام الأوزاعي: «الوعد بقول إن شاء الله مع إضمار عدم الفعل نفاق» وهذا تصرف بألفاظه لا يستقيم، ومن أراد الاستشهاد بقول عالم فليسقه بلفظه دون التصرف فيه!

(٤) فـي حاشـية (ت) و(س): بلـغ. وهـذا إيقـاظ لمـن يُكثـرون من قـول «إن شـاء الله» وهـم مصممون علـى خـلاف قولهـم، وفي هذا سـوء أدب مـع الخالق جـل جلاله، وكـذب على الخلائـق، وتلبيس للأباطيـل بالحقائق.

(٥) في (س) و(ر): «خصصته»، وفي (ج) وكتاب الخطابي: «أحققته».

واستوجَبَ الطَّردَ والإبعادَ فيُ حُكْمِكَ. ولا تُؤَاخِذْنِي بالخَطَأ مِنِّي في وَضْعها[١] غير مَوْضِعِها، وإحلالها في غيرِ مَحَلِّها» قالَ: «وإنَّما يَصِحُّ على هذا التَّأوِيل إذَا كانَ قَدْ سَبَقَتْ منه صلاةٌ أو لَعْنٌ لغيرِ المُسْتحِقِّين».

قال: «وقدْ يحتَمِلُ أنْ يكونَ إنَّما دَعا بالتَّوفِيقِ، واشترطَ في مَسْأَلتِه العِصْمَةَ لئلا يَجْرِيَ على لِسانهِ ثَنَاءٌ إلا لمنْ يستَحِقُّ الثَّناءَ مِنْ أوليائهِ، ولا ذَمٌّ إلا لمَنْ يستَحِقُّهُ مِنْ أَعْدَائِه، كأَنَّه يقولُ: اللهمَّ احفَظْني حتى لا أُوالي إلا أولياءَك ولا أُعادِيَ إلا أعداءَكَ».

قال: «والوجهُ[٢] الأوَّلُ فإنَّما ينصرفُ إلى الماضِي، والوجهُ الآخَرُ إلى المستَقْبَلِ، واللهُ أعلم» انتهى[٣].

قالَ زينُ الدِّينِ ابنُ رَجب: قلتُ التَّفسيرُ الأوَّلُ أَصَحُّ، وَيشهدُ لهُ قولُ أبي الدَّرداءِ: «اللهمَّ فَمَنْ صَلَّيتَ عليهِ فعليه صَلاتي، ومَنْ لَعَنْتَ فعليهِ لَعْنَتي»[٤]، وقول الخطابي: انَّ هذا الوجهَ إنَّما ينصرِفُ إلى الماضِي ضعيفٌ، بل الصوابُ أنَّه[٥] ينصَرِفُ إلى المستَقْبَلِ، وأنَّ[٦] المرادَ: ما لَعَنْتُ في هذا اليومِ مِنْ لَعْنٍ، وما صَلَّيتُ فيهِ مِنْ صَلاةٍ، يعني: ما ألعنُ وما أُصلِّي، وهَذا مما[٧] تقدَّمَ في قولهِ: «ما قلتُ مِنْ قولٍ، أو نذرتُ

---

(١) في (س): «وضعي إياها».

(٢) في (س): «فالوجه».

(٣) «شأن الدعاء»، للخطابي (ص: ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٤) وقد سبق قبلًا.

(٥) في (س): «أن».

(٦) في (س): «وإنما».

(٧) في (س): «ما». وفي (ج): «كما».

مِنْ نذرٍ، أو حلفتُ مِنْ حَلِفٍ، فمشيتُكَ بينَ يديهِ» وقدْ وافقَ الخطَّابيُّ كما تقدَّمَ عنهُ أنَّ المرادَ به: ما يقولُه ويحلِفُه[١] وينذُره في المُستقبلِ، فكذلكَ الصَّلاةُ واللَّعنُ.

* * *

واعلمْ أنَّ العبدَ مبتلىً بلسانهِ، يلعَنُ بهِ مَنْ يغضَبُ عليهِ، ويمدَحُ بهِ مَنْ يرضَى عَنْه، وكثيراً مَا يَمْدَحُ مَنْ لا يستَحِقُّ المدحَ، ويلعَنُ مَنْ لا يستَحِقُّ اللَّعْنَ.

وقد وردَ في غيرِ حديثٍ[٢]: أنَّ اللعنةَ إذَا لم يكن الملعونُ بها أَهلاً لها رَجَعتْ على اللَّاعِنِ[٣]، واللعنُ دعاءٌ، فربَّما أُجِيبَ، وأصابَ ذلكَ الملعونَ.

وقدْ أمرَ النبيُّ ﷺ المرأةَ التي لعنَتْ بَعِيْرَها أنْ تُرْسِلَهُ، وقال: لا تَصْحَبْنَا ناقةٌ ملعونةٌ[٤].

وكانَ بعضُ السَّلَفِ لا يدخُلُ بيتَه بشيءٍ ملعونٍ، ولا يأكُلُ مِنْ بيضِ دَجاجَةٍ يلعَنُها، ولا يشربُ مِنْ لَبَنِ شاةٍ لَعَنها[٥].

قال بعضُهم: ما أكلتُ شيئاً ملعُوناً قَطُّ[٦].

---

(١) في (ج): «وما يحلفه».

(٢) في (ج): «وقد روي في غير ما حديث».

(٣) من ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «... وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه» عند أبي داود (٤٨٧٢) والترمذي (١٩٧٨). وحديث أبي الدرداء مرفوعاً عند أبي داود (٤٨٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٦) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، ولفظه: «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة». وروى مسلم أيضاً نحوه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه (٢٥٩٥).

(٥) هو القدوة العابد الإمام أبو المغيرة عبد الله بن أبي الهذيل التابعي الجليل، رحمه الله تعالى. والأثر: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٥٢).

(٦) قائله هو التابعي الجليل أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الرَّبعي البصري رحمه الله تعالى. وأخرج قوله هذا عنه: ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٠٤).

وذكرَ ابنُ حامدٍ مِنْ أصحابِنا عنْ أحمدَ قال: مَنْ لَعَنَ عبدَه فعليهِ أنْ يُعتِقَه، أوْ شيئاً مِنْ مالِه أنَّ عليهِ أنْ يتصدَّق به[١]. قال: ويجيءُ في لَعْنِ زوجَتِه أنَّه يلزَمُه[٢] أنْ يُطلِّقَها.

و[٣]يشهدُ لهذا في الزَّوجَةِ: وقوعُ الفُرقَة بينَ المتلاعِنَين لمَّا كانَ أحدُهما كاذِباً في نَفْسِ الأمرِ قَدْ حَقَّتْ عليهِ اللعنةُ والغَضَبُ[٤].

فإذا قَدَّمَ العبدُ مِنْ أوَّلِ نهارِهِ في دُعائِهِ أنَّ ما لَعَنَ مِنْ لَعْنٍ فإنَّه لاحقٌ بمنْ[٥] لَعَنهُ الله، وما أثنى مِنْ ثناءٍ فهو لاحِقٌ بمَنْ أثنى اللهُ عليه، فقدْ خَلَصَ بذلِكَ مِنْ إثمِ لَعْنِ مَنْ لا يَستَحِقُّ اللَّعنَ، أو مَدْحِ مَنْ لا يَستَحِقُّ المدحَ، إذا وَقَع ذلك سَهواً، أو غَلطاً، أو عن قُوَّةِ غَضَبٍ ونحوه، فأمَّا مَنْ يتعمَّد[٦] ذلكَ معَ عِلْمِه بالحالِ، ففي دُخُولِهِ في هذا الشَّرطِ نظرٌ، معَ أنَّ عُمومَ اشتراطِه يقتضي دُخُولَه فيه.

وَقَدْ صَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه اشترطَ على ربه أنه مَنْ سَبَّه أو لعنَه أو ضربَه في غضَبٍ ونحوِه أنَّه يكونُ له كفارةً وصلاةً[٧].

---

١) قال ابن مفلح في «الفروع» (٩/ ٣٣٣): «وقال ابن حامد: إذا لعن أمتَه أو مِلكاً من أملاكه، فعلى مقالة أحمد: يجب إخراج ذلك عن مِلكه، فيعتق العبد، ويتصدق بالشيء».

٢) في (س): «زوجته أن عليه».

(٣) في (ف): «أو» وهو غلط.

(٤) نقل قولَ ابنِ حامد كلَّه عن المصنف من «شرح حديث لبيك» هذا: المرداويُّ في «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (٧/ ٤٠٨).

(٥) في (س): «من».

(٦) في (ج) و(س): «تعمد».

(٧) أخرجه البخاري (٦٣٦١) مختصراً، ومسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج مسلم هذا المعنى أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها (٢٦٠٠)، وجابر (٢٦٠٢)، وأنس (٢٦٠٣).

وفي رواية: «وهو غَيْرُ مستَحِقٍّ»[١] وهذا إنَّما يكوُن إذا ظَنَّ استحقاقَه لِذلك، ثم تبيَّنَ أنَّه غيرُ مستَحِقٍّ.

* * *

قولُه ﷺ: «أنتَ وليِّي في الدُّنيا والآخِرَة، توفَّني مُسْلِماً وألحِقْني بالصَّالِحين»: هَذا مأخُوذٌ من دُعاءِ يُوسفَ عليه السَّلام حين قالَ: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، واللهُ عزَّ وجَلَّ وليُّ أوليائِه في الدُّنيا والآخِرةِ يتولَّى حِفْظَهم وكَلاءَتَهم وهِدايتَهم وحِراستهم في دِينهم ودُنياهم ما دامُوا[٢] أحياءً، فإذا حَضَرَهُم الموتُ توفَّاهم على الإسلامِ، وألحَقَهم[٣] بعدَ الموتِ بالصَّالحين، وهذا أَجَلُّ النِّعمِ وأتمُّها على الإطلاقِ، وقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ وفاتِهِ: «﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]»[٤]، وقولُ يوسفَ عليه السَّلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قيل: إنَّه دعا لنفسه بالموت، وهو قولُ جماعةٍ من السَّلفِ، منهم: الإمامُ أحمد[٥]، فيُستَدَلُّ بِهِ على جَوازِ الدُّعاءِ بالموتِ من غيرِ ضُرٍّ نَزَلَ بِهِ.

---

(١) هذا بمعنى ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم: «فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة...».

(٢) في (س): «كانوا».

(٣) في (س): «وأدخلهم».

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٥) نقله ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١١١) من رواية المروذي عن الإمام أحمد، وهو في «مسائل الإمام أحمد ـ رواية ابنه صالح بن أحمد» (١٦٥٢).

وقيل: إنَّه إنما دَعا لنفسه بالموتِ على الإسلامِ عِنْدَ نُزولِ الموتِ، وليس فيه دعاءٌ بتعجيلِ الموتِ، كما أخبرَ عن المؤمنينَ أنَّهم قالوا في دُعائهم: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ويُؤَيِّدُ التفسيرَ الأوَّل أنَّه عَقَّبَهُ بالدُّعاء بالشَّوقِ إلى لقاءِ اللهِ تعالى، وهو يَتَضَمَّنُ الدُّعاءَ بالموتِ كما سنذكرهُ إنْ شاء الله[1].

واستَدَلَّ مَنْ جَوَّزَ الدعاءَ بالموتِ وتمنِّيه بقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، ثمَّ ذمَّهُم على عَدَم تمنيِّه[2] بسببِ سيِّئاتِهم، وعلى حِرصِهم على طولِ الحياةِ في الدُّنيا، وكذلكَ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦ ـ ٧].

وفي المُسنَدِ عن النبيِّ ﷺ: «لا يَتمنَّيَنَّ الموتَ إلا مَنْ وَثِقَ بعَمَلِه»[3] فمَنْ كانَ لهُ عملٌ صالحٌ فإنَّه يتمنَّى القدومَ عليهِ وكذلكَ مَنْ غَلَبَ عليه الشوقُ إلى لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأمَّا مَنْ تمنَّى الموتَ خوفَ فِتنةٍ في الدِّين فإنَّه يجوزُ بغيرِ خِلاف، وقدْ بسطنا الكلام على هذه المسائل في غير هذا الموضع[4].

* * *

(١) «كما سنذكره إن شاء الله» من (ج) فقط. ولا توجد في سائر النسخ.

(٢) في (س): «تمنيهم».

(٣) في (ف): «لا يتمنين أحد». أخرجه أحمد (٨٦٠٧) من حديث أبي هريرة، لكن لفظه: «لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعو به من قبل أن يأتيَه، إلا أن يكون قد وثق بعمله».

(٤) هذا التنبيه من (س) و(ج) فقط وقد بسط المؤلف رحمه الله تعالى الكلام على مسألة تمني الموت في «شرح حديث عمار بن ياسر»، وفي «اختيار الأولى».

قولُه ﷺ: «اللهمَّ إنِّي أسألكَ الرِّضا بعدَ القَضا، وبَرْدَ العَيشِ بعدَ الموت، ولذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِك، وشَوْقاً[١] إلى لِقائِك مِنْ غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ» هذه الثلاثُ خِصَالٍ قد رُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه كانَ يدعُو بها في غَيرِ هذا الحديثِ أيضاً مِنْ حديثِ عمَّارِ بن ياسِرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ. وقَدْ شَرَحنَا حديثَه بتمامِه في موضعٍ آخر[٢].

فأمَّا الرِّضَا بالقَضَاءِ: فهُو مِنَ عَلاماتِ المحبِّين الصَّادقينَ في المحبَّةِ، فمتى امتلأت القلوبُ بمحبَّةِ مولاهَا رضيتْ بكُلِّ ما يقضِيْهِ عليها مِنْ مُؤلم ومُلائِمِ

سِيَّانَ إنْ لامُوا وإنْ عَذَروا[٣] ... ما لي عَنِ الأحبَابِ مُصْطَبَرُ
لا بُدَّ لي مِنْهُمْ وإنْ تَرَكُوا ... قلبي بنارِ الهَجْرِ يَسْتَعِرُ
وعليَّ أنْ أرضَى بما حَكَمُوا ... وأُطيعَهم في كُلِّ مَا أَمَرُوا[٤]

إذا امتلأتْ القلوبُ بالرِّضا عَنِ المحبُوبِ صارَ رِضاها في ما يَرِدُ عليهَا مِنْ أحكَامِهِ وأقْدَارِه.

قال عُمرُ بنُ عبدِ العَزيز: أصبحتُ وما لي سرورٌ إلّا في مواقعِ القَضَاءِ والقَدَرِ[٥].

دَخَلُوا على بعضِ التَّابعين في مَرَضِه فقال: أحَبُّه إليَّ أَحَبُّه إليه[٦].

---

(١) في (ج) و(س): «والشوق».

(٢) هذا التنبيه من (ج) و(س) فقط، وقد شرح المصنف حديث عمار رضي الله عنه وفيه هذه الخصال في جزء مفرد. والحديث أخرجه الإمام أحمد والنسائي.

(٣) في (س): «وإن عذلوا».

(٤) سقطت الأبيات من (ت) و(ع) و(ف) و(ر).
وهي في «المدهش» لابن الجوزي (ص ٤٤٣)، وفي «المنتظم» (١٦/ ١٢٠) في ترجمة أبي غالب محمد بن أحمد بن سهل، ابن بشران النحوي الواسطي، وهي له.

(٥) أخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٦٣)، وابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص ٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٠) (٤٦).

(٦) هو التابعي الجليل أبو العالية رحمه الله تعالى وأخرج هذا الأثر عنه: ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٣٩).

إنْ كانَ سَرَّكُمُ مَا قَدْ بُلِيتُ بِهِ ... فما لجُرْحٍ إذَا أرضَاكُمُ أَلَمُ[1]

وحَسْبُ سُلطانِ الهَوى أنَّه ... يُلَذُّ فيه كلُّ ما يُؤلم[2]

وربَّما اختارَ بعضُ المحبِّين[3] الذُّلَّ على العِزِّ، والفَقْرَ على الغِنى، والمرَضَ على الصِّحَّةِ، والموتَ على الحياةِ.

عِزِّيَ ذُلِّيْ وصِحَّتي في سَقَمِي ... يا قومِ رضيتُ في الهوى سَفْكَ دَمِي

عذالي كُفُّوا فمِنْ ملامي ألم ... مَنْ باتَ على وَعدِ اللِّقا لم يَنَمِ[4]

وإنَّما قالَ ﷺ: «الرِّضَا بعد القضا»، لأنَّ ذلكَ هو الرِّضا حقيقةً.

وأمَّا الرِّضَا بالقَضَاءِ قبلَ وقُوعِهِ فهُو عَزْمٌ على الرِّضا، وقَدْ تَنْفَسِخُ العَزائمُ عِنْدَ[5] وقوعِ الحقَائِقِ، ومعَ هَذا فلا ينبَغِي أنْ يستَعْجِلَ العبدُ البلاءَ، بلْ يسألُ اللهَ العافيةَ، فإنْ نَزَلَ البلاءُ تلقَّاهُ بالرِّضَا.

قُتِلَ لبعضِهِمْ ولدانِ في الجِهادِ[6]، فجاءَهُ النَّاسُ يُعَزُّونَه بِهِما، فبَكَى وقالَ:

---

(١) سقط من (ت) و(ع) و(ف) و(ر)، والبيت من قصيدة من مشهور شعر المتنبي في سيف الدولة، وهو في ديوانه (ص ٣٣٣) وصدره:

إن كان سركم ما قال حاسدنا...

(٢) كذلك سقط من النسخ الأربعة، وهذا البيت من أبيات لأبي الخطاب محمد بن علي البغدادي، المعروف بالجَبُّلي. أنشدها له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٣٨١).

وهذا البيت والذي قبله سقطا من (ف).

(٣) في (س): «الصالحين».

(٤) والبيتان كذلك ليسا في النسخ الأربعة البيتان في «المدهش» لابن الجوزي (ص ١٨١). وفي (ج) و(س): «على مواعد اللقا» والتصويب من المدهش.

(٥) في (س): «مع».

(٦) في (ج): «قيل: كان لبعض السلف ولدان فقتلا في الجهاد».

مـا أبكِي على قَتْلِهما، ولكنْ كيفَ كانَ رضَاهما عَن اللهِ حينَ أَخَذَتْهُما السُّيُوفُ[١].

إنْ كانَ سُكَّـــانُ الغَـضـا رَضُـــوا بقتْلِـــي فَرِضَـــا
واللهِ مـــا كنـــتُ لِمـــا يهـــوى الحبيـــبُ مُبغِضا
صِرْتُ لهـــم عَبْـــداً وما للـعَـبْـــد أنْ يَـعْـتَـرِضا
مَـــنْ لـمـريـضٍ لا يَـرى إلا الطبيـــبَ المُمرِضَـــا[٢]

وأمَّا بَرْدُ العَيْشِ بَعْدَ الموتِ: فالمرادُ بهِ طِيْبُ العَيْشِ ولذاذَتُه، وما تَقَرُّ بهِ عينُ صَاحِبِهِ، فإنَّ البَردَ يحصلُ به قُرَّةُ عينِ الإنسانِ وطيبُها، وبردُ القَلْبِ يوجِبُ انشراحَه وطُمأنينَتَه، بخلافِ حَرارةِ القَلبِ والعينِ، ولهذا في الحديث: «طَهِّر قلبِي بماءِ الثَّلْجِ والبَرَد»[٣]، ودمعةُ السُّرورِ باردةٌ، بخلافِ دَمْعةِ الحُزنِ فإنَّها حَارَّةٌ، فبَردُ العَيْشِ هُو طِيْبُه ونعيمُه.

وفي الحقيقةِ: إنَّما يكمُلُ طيبُ العَيشِ ونعيمُه في الآخرةِ لا في الدُّنيا، كما قالَ

---

(١) ذكره المصنف أيضاً في «اختيار الأولى». وذكر ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه القصة من رواية أبي عبد الرحمن الجرجاني أنه ذهب ليعزي رجلاً وقد قتلت الترك ابنه فبكى... القصة.

(٢) سقطت الأبيات من (ت) و(ع) و(ف) و(ر). وهي من شعر أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع، وهي في «المدهش» لابن الجوزي (ص ٢٧٧). والقصيدة بتمامها في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦)، و«سكان الغضا» في شعر العرب هم أهل نجد، لكثرة شجر الغضا فيها، لكنها في البيت كناية عن المحبوب.

(٣) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ. وفي «البخاري» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٧٤٤): «اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»، وفيه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنه (٦٣٦٨): «اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس» وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه (٤٧٦): «... اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد».

النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخِرة»(١)، وسببُ ذلك أنَّ ابنَ آدمَ مركَّبٌ مِنْ جَسَدٍ وروحٍ، وكلٌّ منهُما يحتاجُ إلى ما يَتَقوَّتُ به ويتنعَّمُ به، وذلكَ هو عيشُه.

فالجسدُ عيشُه الأكلُ والشُّربُ والنِّكاحُ واللِّباسُ والطِّيبُ وغيرُ ذلكَ من اللَّذَّاتِ الحِسِّيةِ، ففيه بهذا الاعتبارِ مشابهةٌ بالحيواناتِ في هذهِ الأوصافِ.

وأما الرُّوحُ فهي لطيفةٌ، وهي رُوحانيَّةٌ مِنْ جنسِ الملائكةِ، فقوَّتُها، ولذَّتُها، وفرحُها. وسرورُها في معرفةِ خالقِها وبارِئها وفاطِرِها، وفيما يقرِّبُ منه مِنْ طاعَتِه، في ذِكره، ومحبَّتِهِ، والأنسِ به، والشوقِ إلى لقائِه، فهذا هُو عيشُ النَّفْسِ وقوَّتُها، فإذا فقدتْ ذلكَ مَرِضَتْ أو هَلَكتْ أعظمَ مما يهلِكُ الجسدُ بفَقْدِ طعامهِ وشرابهِ، ولهذا يوجدُ كثيرٌ مِنْ أهلِ الغِنى والسَّعَةِ يُعطي جسدَهُ حظَّهُ من التَّنعِيمِ(٢)، ثمَّ يجِدُ ألماً في قلبِه ووحشةً، فيظنُّه الجهالُ(٣) أنَّ هذا يزولُ بزيادةِ هذهِ اللَّذَّاتِ الحسِّيةِ، وبَعْضُهم يظنُّ أنَّه يزولُ بإزالةِ العَقْلِ بالسُّكْرِ، وكلُّ هذا يزيدُ الألمَ والوَحْشَة، وإنَّما سببُه أنَّ الروحَ فقَدَتْ قوَّتَها وغذاءَها فمَرِضَتْ وتألَّمتْ.

إذا كُنْتَ قوتَ النَّفْسِ ثم هَجَرْتَها ... فلنْ تَصْبِرَ النَّفْسُ التي أنتَ قوتُها

ستَبقى بقاءَ الضَّبِّ في الماءِ أو كمَا ... يعيشُ ببيداءِ المفاوِزِ حُوتُها(٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٣) من حديث أنس رضي الله عنه. و(٦٤١٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) في (ج) و(س): «النعيم».

(٣) في (س): «الجاهل». وفي (ج) وحدها: «فيظن».

(٤) سقط البيتان من (ت) (ع) و(ف) و(ر)، ووقع في (س) «النفوس» بدل «النفس» في الموضعين، و«فلم تصبر»، ووقع في (ج): «فكم تبصر»، و«المغاور» بدل «المفاوز» والتصويب من المصادر. وهذان البيتان المشهوران نسبا لجماعة: =

قالَ بعضُ العارفين لقومٍ: ما تَعُدُّونَ العيشَ فيكُم؟ قالوا: الطَّعامُ والشَّرابُ ونحوُ ذلك، فقال: إنَّما[١] العيشُ أنْ لا يبقَى منك جارِحَةٌ إلا وهِيَ تجاذِبُكَ إلى طاعةِ الله عز وجل[٢].

مَنْ عاشَ مع اللهِ طابَ عيشُه، ومن عاشَ معَ نفسِه وهواه طالَ طيشُه.

قالَ الحسنُ: إنَّ أحبَّاءَ اللهِ هُم الذينَ ورِثُوا طِيْبَ[٣] الحياةِ بما وَصَلُوا إليهِ مِنْ مناجاةِ حبيبِهم، وبما وجَدُوا من لذَّةِ حُبِّه في قلُوبهم[٤].

وأكلَ إبراهيمُ بن أدهم معَ أصحابِه كِسَراً يابسةً، ثم قامَ إلى نهرٍ فشَرِبَ منه بِكفِّه، ثم حَمِدَ اللهَ، وقال[٥]: لو عَلِمَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيه من النَّعيمِ والسُّرورِ لجالَدُونا [عليهِ][٦] بالسُّيوفِ أيامَ الحياةِ على ما نحنُ فيهِ مِنْ لذيذِ العَيْشِ

= ـ ثعلب النحوي كما في «مصارع العشاق» (٢/ ١٠٩)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٧٢٦).

ـ إبراهيم بن محمويه النصراباذي النيسابوري، كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧/ ١٠٦).

ـ خالد الكاتب أو علي بن الجهم كما في «الدر الفريد وبيت القصيد» (٣/ ١١٢).

ـ أحمد بن عبد السلام الرصافي، كما في «الوافي بالوفيات» (٧/ ٣٩).

(١) في (ج): «أفٍّ، إنما...».

(٢) ذكره الإمام الجليل سفيان بن عيينة رحمه الله عن رجل من أهل الشام، ولفظه: «العيش أن تجيبك أطوارك إلى طاعة الله عز وجل» أخرجه المروزي في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (١١٨٤)، والدينوري في «المجالسة» (٢٠١٤).

(٣) في (س): «أحباء الله الذين هم ورثوا طيب». وفي (ع) و(ف): «أطيب»، والمثبت من (ت) أرجح وهو مشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٧)، وعزاه المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» إلى ابن أبي الدنيا.

(٥) في (س): «ثم قال».

(٦) من (س) و(ر).

وقِلَّةِ التَّعَبِ. فقالَ لـه بعـضُ أصحابِه: يا أبا إسحاق! طلبَ القومُ الرَّاحةَ والنَّعيمَ فأخطأوا الطَّريقَ المستقيمَ[١]، فتبسَّمَ ثمَّ قال: مِنْ أينَ لكَ هَذا[٢]؟

أهـلُ المحبـةِ قـومٌ شـأنهم عجَب ... سُـرورُهم أبـدٌ[٣] وعيشُـهم طَـرَبُ

العيـشُ عيشُـهُمُ والمُلـك ملكهـمُ ... مـا النَّـاسُ إلا هـمُ بانُـوا أو اقتَربُـوا[٤]

قيلَ لبعضِ العَارفين ـ وقد اعتزلَ عنِ الخَلْقِ ـ: إذا هَجَرتَ الخَلْقَ مع مَنْ تعيش؟ قال: معَ مَنْ هَجرتُهم لأجْلِه[٥].

ويُروى عنِ المسيحِ عليه السَّلام أنَّه قالَ: يا معشرَ الحواريِّين كَلِّموا اللهَ كثيراً، وكلِّموا النَّاسَ قليلاً. قالوا: كيفَ نُكَلِّمُ اللهَ كثيراً؟ قال: اخْلُوا بذِكره، اخلُوا بدعائِه[٦]، أُخلُوا بمناجاته[٧].

مـا أطْيَـبَ عَيْـش مَـنْ تخَـلَّا[٨] بحَبيب ... يَـلْـتَـذُّ بـه مـن غير مَحاشـاةِ رقيب

أعيا مَرَضي بكـم كـلَّ طبـيـب ... مَنْ أَمَّلَ فَضْلَ مثلِكم كيفَ يخيْب[٩]

---

(١) في (ف): «والنعم فأخطؤوا»، وفي (س): «الصراط المستقيم».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٧٠)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٣، ٣٦٦).

(٣) في (س): «زائد». تحريف.

(٤) ذكر المصنف نحوهما في «شرح حديث عمار بن ياسر».

(٥) هو العارف الزاهد يحيى بن معاذ الرازي المتوفى (سنة ٢٥٨هـ)، وهذا الجواب منه أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣١٠).

(٦) في (س): «بذكر نعمائه».

(٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٤) عن ثور بن يزيد رحمه الله مما قرأه في التوراة.

(٨) في (س): «يخلو».

(٩) لا توجد الأبيات في (ت) و(ع) و(ف) و(ر)، وسقط من (س) الشطر الثاني من البيت الأول، والشطر الأول من البيت الثاني واستدرِك ذلك من (ج). ولم أجد هذا الشعر عند غير المصنف.

واعلمْ أنَّ الجمعَ بين هذينِ العيشينِ في دار الدُّنيا غيرُ ممكِنٍ، فمنْ اشتَغَلَ بعيشِ رُوحِهِ وقلبِه، و(١)حَصَلَ له منهُ نصيبٌ وافرٌ لَهى(٢) عن عيشِ جَسَدِه وبدنِه، ولم يقدرْ أنْ يأخذَ منه نهايةَ شهوتِه، ولم يقدرْ أنْ يتوسَّعَ في نَيْلِ الشَّهواتِ الحِسِّية، وإنما يأخذُ منها بقَدْرِ ما تقومُ به حاجةُ البدَنِ خاصةً، فينتقصُ بذلكَ عيشُ الجَسَدِ ولا بُدَّ، وهذه كانتْ طريقةَ الأنبياءِ والمرسلينَ وأتباعِهم، فكأنَّ اللهَ يختارُ أنْ يقلِّلَ نصيبَهم مِنْ عيشِ أجسادِهم، ويوفِّر نصيبَهم مِنْ عيشِ قُلوبهم وأرواحِهم.

قالَ سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ: ما آتى اللهُ عَبْداً مِنْ قُربِه ومَعْرِفَتِه نَصيباً إلا حَرَمه مِنْ الدُّنيا بقَدْرِ ما أعطاهُ مِنْ مَعْرِفته وقُرْبِه، ولا آتاهُ مِنَ الدُّنيا نَصِيباً إلا حَرَمَه مِنْ مَعْرِفَتِهِ وقُربه بِقَدْرِ ما آتاهُ مِنَ الدُّنيا(٣).

وقَدْ كانَ النبيُّ ﷺ يَقْتَصِدُ في عَيْشِهِ غَايةَ الاقتصادِ، معَ ما فَتَحَ اللهُ عليهِ منَ الدُّنيا والمُلْكِ، وماتَ ولمْ يشبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ(٤)، وكانَ يقولُ: «ما لي وللدُّنيا؟ إنَّما مَثَلِي ومَثَلُ الدنيا كراكِبٍ قَالَ(٥) في ظِلِّ شَجَرةٍ ثم رَاحَ وتركَها»(٦).

وقالَ ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنياكُم النِّساءُ والطِّيبُ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاةِ»(٧).

---

(١) سقطت من (س): وسقوطها يخل المعنى.

(٢) في (س): «ومَنْ لهى»، وزيادتها تخل المعنى. وفي (ج): «زهد» بدل «لهى».

(٣) في (ت) و(ع) و(ف): «بقدر ما آتاه في الدنيا». أخرجه الضياء المقدسي في «المنتقى من مسموعات مرو» ـ من حديث إسماعيل المقرئ ـ وربما تصحفت التستري إلى القشيري.

(٤) أخرجه البخاري (٥٤١٤) من حديث أبي هريرة.

(٥) في حاشية (ف): «هو من القيلولة».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل (٣٧٠٩) (٤٢٠٨)، والترمذي (٢٣٧٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد (١٢٢٩٣) (١٢٢٩٤) (١٣٠٥٧) (١٤٠٣٧)، والنسائي (٨٨٣٦ ـ ٨٨٣٧) من =

والنِّساءُ والطِّيبُ فيهما قُوَّةٌ للرُّوح، بخلافِ الطَّعامِ والشَّرابِ، فإنَّ الإكثارَ مِنْهما يقسِّي القَلْبَ ويُفْسِدُه، وربَّما أفسدَ البَدَنَ أيضاً، كما قالَ النبيُّ ﷺ: «ما مَلأَ آدميٌّ[1] وعاءً شراً مِنَ بَطْنٍ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً، فثُلُثٌ طعامٌ وثلثٌ شرابٌ وثلثٌ نَفَسٌ»[2].

قالَ[3] بعضُ السَّلَفِ: قِلَّةُ الطَّعامِ عَوْنٌ على التَّسرُّعِ إلى الخيراتِ[4].

* [مدح الجوع]:

وقالَ آخرُ: ما قَلَّ طُعْمُ امرئٍ قط إلا رَقَّ قلبُه ونَدِيَتْ عينَاهُ[5].

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهم: الشِّبَعُ يميتُ القَلْبَ، ومنهُ يكونُ الفَرَحُ والمرَحُ والضَّحِكُ[6].

* [ذم الشبع]:

وقالَ أبو سُليمان: إنَّ النَّفْسَ إذا جَاعَتْ وعَطِشَتْ صَفِيَ القَلْبُ ورَقَّ، وإذا شَبِعَتْ ورَوِيتْ عَمِيَ القَلبُ[7].

= حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وفي بعض المواضع ذكر «من الدنيا» وفي بعضها بدونه ولفظ: «من دنيَاكم» لا يوجد في «المسند» و«سنن النسائي»، وهو في «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٤٢٢).

(١) في (ع): «ابن آدم».

(٢) أخرجه الإمام أحمد وهذا لفظه (١٧١٨٦)، والترمذي نحوه (٢٣٨٠) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٣٤٩) من حديث مقدام بن معديكرب رضي الله عنه. ولفظه: «فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

(٣) في (س): «وقال».

(٤) هو عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى، والأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٠٧).

(٥) هو ثُمَم العابد رحمه الله تعالى، والأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٢٤).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (٢/ ١٠٠٠)، وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٧٣).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (٣١٩).

وقال: مفتاحُ الدُّنيا الشِّبَعُ، ومفتاحُ الآخرةِ الجُوعُ[١].

وقيلَ للإمامِ أحمد: يَجِدُ الرجلُ[٢] رِقَّةً مِنْ قَلْبِهِ وهو يَشْبَع؟ قال: ما أُرى[٣].

ولهذا المعنى شرعَ اللهُ الصِّيامَ، وقدْ كانَ النبيُّ ﷺ يُواصِلُ في صِيامِه أيَّاماً، فلا يأكلُ ولا يشربُ، فإذا[٤] سُئِلَ عن ذلكَ يقولُ: «إنِّي لستُ مِثْلَكُم، إني أَظَلُّ عندَ ربِّي يُطعِمُني ويَسْقين»[٥]، يشيرُ إلى أنَّه يَستغني عَنْ قُوتِ جَسَدِه بما يمنَحُه اللهُ مِنْ قُوتِ رُوحِه عِنْدَ الخلوةِ به والأُنسِ بذِكْره ومناجاته، مما[٦] يُوردُه على قلبِه مِنَ المعارفِ القُدْسِيَّةِ والمواهِبِ الإلهيَّة.

لها أحاديثُ مِنْ ذِكراكَ تَشْغَلُها[٧] عَنِ الطَّعامِ وتُلهِيْها عَنِ الزَّادِ[٨]

واعلمْ: أنَّ عَيْشَ الجَسَدِ يُفْسِدُ عَيْشَ الرُّوحِ ويُنَغِّصُهُ، وأمَّا عَيْشُ الرُّوحِ فإنَّه يُصْلِحُ عَيْشَ الجَسَدِ، وقدْ يُغنيهِ عَنْ كثيرٍ ممَّا يَحتاجُ إليه مِنْ عَيْشِه.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٢٧) وغيره.

(٢) في (ج): «تجد للرجل».

(٣) سأله المروذي للإمام أحمد، وهو في «الورع» (٣٢٣).

(٤) في (س): «وإذا».

(٥) أخرجه البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في «مسند أحمد» (٨٩٠٢) بهذا اللفظ.

(٦) في (س): «ومما».

(٧) وضبطت أيضاً في (ف): «تُشْغِلها» وكتب فوقها معاً.

(٨) ذكره أبو هلال العسكري في «ديوان المعاني» (١/ ٦٣) منسوباً إلى إدريس بن أبي حفصة في أبيات وشطره الثاني: «عن الرتوع وتلهينا عن الزاد».

وقد أورده ابن القيم في بعض كتبه قريباً مما ذكره المصنف، وذكره المصنف في «لطائف المعارف» وغيره بمثل ما هنا.

كانَ بالبَصرةِ رجلٌ مِنَ المُجتهدينَ في الطَّاعَةِ، وكانَ قليلَ الطُعْمِ[١]، وبَدَنُه غير مَهزولٍ، فسُئِلَ عَن سَبَبِ ذلكَ، فقال: ذلكَ مِنْ فَرَحي بحُبِّ اللهِ، إذا ذَكَرتُ أنَّه رَبِّي وأنا عَبْدُه لم يَمْنَعْ[٢] بَدَني أنْ يَصْلُح[٣].

وسُئِلَ أبو الحسَن بنُ بشَّار: هَلْ يكونُ الوَليُّ سَمِينًا؟ قال: نَعَم إذا كانَ الوليُّ أمِيناً، قِيْلَ له: كيفَ واللهُ يُبْغِضُ الحَبْرَ[٤] السَّمِين؟ قال: إذا عَلِمَ الحَبْرُ عبدَ مَنْ هُو ازدادَ سِمَناً[٥].

وكانَ بِشرٌ يخطِرُ[٦] في دَارِه ويقول: كفَى بي عِزّاً أنِّي لكَ عَبْدٌ، وكفى بي فَخراً أنَّك لي رَبٌّ[٧].

نُسِبتُ لكم عَبداً وذلكَ بُغْيَتي ... وتشريفُ قَدْرِي نِسبتي لعُلاكُمُ
فكلُّ عَذابٍ في هَواكم يلذُّ لي ... وكلُّ هَوانٍ طَيِّبٌ في هَواكُمُ
لحا اللهُ قلبي إنْ تغيَّرَ عنكمُ ... وإنْ مالَ في الدُّنيا لحِبِّ سِوَاكُمُ[٨]

---

(١) في (س): «المطعم»، وفي المصدر: «الطعام».

(٢) في (س): «يزل».

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٦٠).

(٤) وضبطت أيضاً في (ف): «الحِبْر»، وكتب فوقها: معاً.

(٥) أبو الحسن هو علي بن محمد بن بشار الزاهد العارف، المتوفي سنة (٣١٣هـ) رحمه الله تعالى، مترجم في «طبقات الحنابلة» (٣/ ١٠٨). وحديث: «إن الله يبغض الحبر السمين» لم يأت بسند صحيح عن نبينا ﷺ، وكأن أصله من الإسرائيليات.

(٦) يخطِر: يتبختر.

(٧) لم أجده عن بشر رحمه الله، وإنما وجدته منسوباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في «التفسير الكبير» للفخر الرازي، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولفظه: «كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً، وكفى بي شرفاً أن تكون لي رباً...»، ولم أقف عليه مسنداً إليه.

(٨) لم أجد الأبيات عند غير المصنف، وسقطت من (ت) و(ع) و(ف) و(ر).

فمَنْ وَفَّى نفْسَه[١] حظَّها مِنْ عَيْشِ جَسَدِه بالشُّهواتِ الحِسِّيَّةِ، كالطَّعامِ والشَّرابِ فَسَدَ قلبُه وقَسى، وجَلَبَ له ذلكَ الغفلةَ وكثرةَ النَّومِ، فنقصَ حَظُّ رُوحِهِ وقلبِهِ مِنْ طَعامِ المناجَاةِ وشَرابِ المعرفة فَخَسِرَ خُسراناً مُبيناً.

قالَ بعضُهم: مساكين أهلُ الدنيا خَرَجُوا مِنها وما ذَاقُوا أطيبَ شيءٍ فيها، قيل: وما هُو؟ قال: معرفَةُ اللهِ عزَّ وجَلَّ[٢].

فمَنْ عاشَ في الدُّنيا لا يعرفُ[٣] ربَّه ولا يتنعَّمُ بخِدْمته، فعيشُهُ عَيْشُ البَهائم.

نهـارُك يـا مغـرورُ سـهوٌ[٤] وغَفْلَةٌ ... وليلُـكَ نـومٌ والـرَّدَى لـكَ لازِمُ

وتَتْعَـبُ فيمـا سَـوْفَ تكـرَهُ غِبَّـهُ ... كذلـكَ فـي الدُّنيـا تعيـشُ البَهَائِـمُ[٥]

فالصَّالِحونَ كلُّهم قلَّلُوا مِنْ عَيشِ الأجسادِ، وتوفروا[٦] مِنْ عَيشِ الأرواحِ، لكنَّ منهم مَن قلَّلَ مِنْ عَيْشِ بَدَنِه ليستوفِيَه في الآخرةِ وهذا تاجِرٌ، ومنهم مَنْ فعلَ ذلكَ خَوفاً منَ الحِسابِ عليهِ في الآخِرة، والمحقِّقُون فعلُوا ذلكَ تفريغاً للسِّرِّ عَمَّا يشغَلُ

---

(١) في (ج): «فمن رام في نفسه».

(٢) ذكره ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كثير من كتبه، عن بعض العارفين، ومنها «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص: ٣١)، و«المدارج»، و«الجواب الكافي»، و«الوابل الصيب»، و«إغاثة اللهفان»، و«روضة المحبين».

(٣) في (س): «ولا يعرف».

(٤) في (ج): «لَهْوٌ».

(٥) كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يتمثل بهذه الأبيات وهي لعبد الله بن عبد الأعلى. انظر التعليق على «الكلام على تحريم الخمر» للمصنف، وهي آخر ما فيه.

وكتب بيت آخر منها في حاشية (ت):

تسَرُّ بما يفنى وتـفـرحُ بالمُنى ... كما سُرَّ باللذات في النومِ حالِمُ

(٦) في (ف) وحدها: «وكثروا».

عَنِ اللهِ، لتتفرَّغَ[١] القلوبُ للعُكوفِ على طاعَتِه وخِدْمَتِه وذِكره وشُكْرِه والأُنسِ به والشَّوْقِ إلى لِقَائِه، فإنَّ الأخذَ مِنْ عَيْشِ الأجسادِ أكثرَ مِنْ قَدْرِ الحاجَةِ يُلْهِي عَن اللهِ وَيَشغَلُ عنْ خِدمَتِه.

قال بعضُهم: كلُّ ما شَغَلَك[٢] عن اللهِ فهُو عليك مَشؤُومٌ[٣].

فـلا كانَ مـا يُلهـي عـن اللهِ إنـه يَضُرُّ ويُـردِي[٤]، إنـه لمشـؤوم[٥]

فما تفرَّغَ أحدٌ لطلبِ عَيْشِ الأجسادِ وأعطى نفسَه حظَّها مِن ذلكَ إلا ونقَصَ حظُّه مِن عيشِ الأرواحِ، وربَّما ماتَ قلبُه مِنْ غفلَتِه عن اللهِ وإعراضِه عنه، وقدْ ذمَّ اللهُ مَنْ كان كذلك، قال الله عزَّ وجل[٦]: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: ٥٩].

ثُمَّ إنَّ ما حَصَّلُوه[٧] مِنْ شَهَواتهم ينقطِعُ ويزولُ بالموتِ، وينقُصُ بذلكَ حظُّهم عندَ اللهِ في الآخِرة، فإنْ كانَ ما حَصَّلُوه من شَهَواتِهم[٨] مِنْ حَرَامٍ فذلكَ هُو الخُسرانُ المبين، فإنَّه يوجِبُ العقوبةَ الشَّديدةَ في الآخرةِ، فلمَّا لم يجتَمِعْ في الدنيا للعَبْدِ بلوغُ حَظِّه مِنْ عَيْشِ رُوحِه وبلوغُ نهايةِ حَظِّه مِنْ عَيْشِ جَسَدِه، جَعَلَ اللهُ للمؤمنينَ داراً

---

(١) في (س): «لتفرغ».

(٢) في (ع) و(ف): «يشغلك».

(٣) هو من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله، أخرجه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٤).

(٤) في (س): «ويؤذي». وتصحفت في (ج) إلى «يروي».

(٥) ذكره المصنف في «لطائف المعارف» (ص ١٥٣)، ولم أجده عند غيره.

(٦) في (س): «فقال» بدل من «قال الله عز وجل».

(٧) في (س): «حصلوا».

(٨) سبق قلم ناسخ (ف) فكرر العبارات.

جمَعَ لهم فيها بيْنَ هذين الحظَّين على نِهايةِ ما يكونُ مِنَ الكَمَالِ وهي الجنَّة، فإنَّ فيها جميعَ لذَّاتِ الأجساد وعيشها ونعيمها كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقالَ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] ولا ينقص ذلكَ حظَّهم مِنْ لذَّاتِ أرواحِهم، فإنه تتوفر[١] لذَّاتُ قلوبِهم وتتزايدُ على ما كانتْ للمؤمنينَ في الدنيا بما لا نِسبةَ لما كانَ في الدُّنيا إليه، فإنَّ الخبرَ في الدُّنيا يصيرُ هناكَ عِياناً، فأعلى نعيمِهم هناكَ رؤيةُ اللهِ عزَّ وجل ومشاهدتُه وقربُه ورضاه، ويحصلُ لهم بذلكَ نهايةُ المعرفةِ بهِ والأنسِ، ويتزايدُ هناكَ لذَّةُ ذِكْرِه على مَا كانَ في الدُّنيا، فإنَّهم يُلْهَمُونَ التَّسبيحَ كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ[٢]، وتصيرُ كلمةُ التَّوحيدِ لهم كالماءِ البارِدِ لأهْلِ الدُّنيا[٣].

فعُلِمَ بهذَا أنَّ العَيْشَ الطَّيِّبَ على الحقيقةِ لا يحصُلُ في الدُّنيا، إنَّما يكونُ بعدَ الموتِ فإنَّ مَنْ يُوَفِّرُ حَظَّهُ مِنْ نَعيمِ رُوحِه وقلبِه في الدُّنيا[٤] ينقصُ به حَظُّه من نعيم جسمه، وربما حصلَ له المشاقُّ على جسده من ذلك، ومن يوفر حظه في الدنيا من نعيم جسمه نقصَ به حظه من نعيم روحه وقلبه في الدنيا[٥]، ونقصَ بهِ أيضاً حَظُّه مِنْ نَعيمِ الآخِرة، ومعَ هَذا فهُو نَعيمٌ منغَّصٌ لا يَدُومُ، ولا يَبْقى، وكثيراً

---

(١) في (س): «يتوافر».

(٢) أخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه (٢٨٣٥) في ضمن حديث: «... يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس».

(٣) نقله المصنف عن ابن عيينة في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٠١).

(٤) سقط ما بعده من (ف) و(س) وجاء لحق في حاشية (ف): «توفر في الآخرة أيضاً، ومن توفر حظُّه من نعيم جسده في دنياه ربما نقص في الدنيا».

وفي (س): «فإن من توفر حظه من نعيم جسده في الدنيا».

(٥) نهاية السقط في (ف) و(س).

ما يتنَغَّصُ بالأمراضِ والأسقامِ، وربَّما انقطعَ وتبدَّلَ صاحبُه بالفَقْرِ والذُّلِّ بعد الغِنى والعِزِّ، وإنْ[1] سَلِمَ مِنْ ذلكَ كُلِّه، فإنَّه ينغِّصُهُ الموتُ، فإذا جاءَ الموت فما كأنَّ مَنْ تَنَعَّم بالدُّنيا[2] ذاقَ شيئاً مِنْ لَذَّاتِها، خُصوصاً إنْ انتقَلَ العبدُ بعدَ الموتِ إلى عذابِ الآخرةِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

وكانَ الرَّشيدُ قد بنى قَصْراً فلما فَرَغَ مِنْه ونَجَّدَه[3] وفَرَشه استدعَى فيه بطَعامٍ وشرابٍ وملاهي، واستدعى أبَا العَتَاهِيةِ، فقال له: صِفْ لي ما نَحنُ فيهِ منَ العَيشِ، فأنشَأ يقولُ:

عِشْ ما بَدا لَكَ سالماً ... في ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُور

يُسْعَى عليكَ بما اشتهيْتَ ... لدى الرَّواحِ وفي البُكُورِ

فإذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ ... في ضِيْقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ

فهناكَ تعلَمُ مُوقِناً ... ما كنتَ إلا في غُرُورِ

فبَكى الرَّشيدُ، فقالَ له الوزيرُ: دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لِتَسُرَّه فأحزَنْتَه؟ فقالَ الرشيدُ: دَعْه فإنَّه رَآنا في عمَىً فكَرِهَ أنْ يزِيدَنا عَمَىً[4].

---

(١) في (س): «فإن».

(٢) في (س): «في الدنيا ولذاتها كأنه ما».

(٣) التنجيد: التزيين.

(٤) أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا: الدينوري في «المجالسة» (١٦٢١)، وذكر القصة ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (٥/ ٣٩٥) آخر ترجمة هارون الرشيد من حوادث سنة ١٩٣. والأبيات في «ديوان أبي العتاهية».

نظر بعضُ المُترفين[١] عندَ مَوته إلى مَنْزِله، فاستَحْسَنَه، وقالَ[٢]:

إنَّ عَيْشاً يكونُ آخرُه المو ... تُ لعيشٌ معجَّلُ التَّنغِيْصِ

ثم ماتَ مِنْ يومِه[٣].

وقالَ آخَرُ:

تَنقضي الدُّنيا وتَفْنى ... والفَتى فيها مُعَنَّا

ليسَ في الدُّنيا نعيمٌ ... لا ولا عيشٌ مُهنَّا[٤]

يا غنيًّا بالدنانِيـ ... ـرِ محبُّ اللهِ أَغنى

وقالَ آخرُ:

إنما الدُّنيا وإن ... سَرَّت[٥] قَليلٌ مِنْ قَليلِ

إنما العَيشُ جوارُ ... اللهِ في ظِلِّ ظَليلِ

حيثُ لا تَسْمَعُ مَا ... يُؤْذِيكَ مِنْ قالٍ وقيلِ[٦]

---

(١) في (س): «العارفين»!

(٢) في (س): «فقال».

(٣) البيت لأبي العتاهية، وأوصى أن يكتب على قبره كما في «تاريخ دمشق» (٧/ ٥٩)، وأخرج نحوه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣٠٣) عن إسحاق ابن السري قال: دخلنا على عبد الله بن يعقوب في اليوم الذي مات فيه، وعنده متطبب ينعت به دواء، فقال عبد الله متمثلاً...

(٤) الأبيات سقطت من النسخ وفي (ج) الأولان فقط، وفي (س) الثالث منها. أنشدها أبو موسى المديني في «اللطائف من دقائق المعارف» (٣٩) من أبيات أنشدها علي بن محمد بن بشار الحنبلي الزاهد رحمه الله.

(٥) في (ج): «كثرت» بدل «سرَّت».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٧٠) عن رجل من بني يشكر، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢١٧) من إنشاد محمد بن منصور الطوسي رحمه الله تعالى.

وقال آخر:

وكيف يلَذُّ العيشَ مَنْ كانَ عالِماً ... بأنَّ إلـهَ الخَلْقِ لا بُدَّ سَائِلُه

فيأخُذُ منهُ ظلمَه لعبادِهِ ... ويجزيهِ بالخيرِ الذي هُو فاعِلُه[1]

فالأشقِياءُ في البَرزخِ في عَيْشٍ ضَنْكٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، وقد رُوي عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً «أَنَّ المعيشةَ الضَّنْك عذابُ القَبْرِ»[2]، يُضَيَّقُ عليهِ قبرُه حتى تختلفَ أضلاعُه[3]، ويُسلَّطُ عليه تسعةٌ وتسعون تِنِّيناً»[4].

وأمَّا عَيْشُهم في الآخرةِ فأَضيَقُ وأضيَقُ، فأمَّا مَنْ طاب عيشُه بعدَ الموتِ فإنَّ طِيْبَ عَيْشِهِ لا ينقَطِعُ بلْ كُلَّما جاءَ تزايدَ طِيبُه.

ولهذا سُئِلَ بعضُهم: مَنْ أَنعَمُ النَّاسِ[5]؟ فقال: أجسامٌ في الترابِ قَدْ أمِنَت العذابَ وانتظَرت[6] الثَّوابَ[7]. فهذا في البرزخ، في عيش طيب[8].

---

(١) أبيات سقطت من النسخ وفي (ج) الأولاد فقط، وفي (س) الثالث منهما. قرأها صدقة بن مرداس البكري على شاهدةِ قبرٍ بطرابلس. خبرها في «القبور» لابن أبي الدنيا (٢١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه مرفوعاً عن أبي سعيد: الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨١) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وأخرجه موقوفاً عن أبي سعيد: ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩٨٣).

(٣) أخرجه موقوفاً عن أبي سعيد: عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٤٤) وهو في «المصنف» (٦٧٤١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦٠).

(٤) أخرجه مرفوعاً عن أبي سعيد: أحمد في «مسنده» (١١٣٣٤) وغيره. وأخرجه موقوفاً عن أبي سعيد: البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦١). ولم أقف على هذه الجمل الثلاث في سياق واحد.

(٥) في (س): «من أنعم الناس عيشاً».

(٦) في (س): «فانتظرت».

(٧) أخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٣) من كلام صفوان بن عمرو قاله لبقية بن الوليد في قصة.

(٨) في (س): «في البرزخ، فإن المؤمن في عيش طيب».

رؤي معروفٌ في المنام بعدَ موتهِ وهُو يُنْشِد:

مـوتُ الـتَّـقـي حياةٌ لا نَـفَـادَ لـهـا قد ماتَ قومٌ وهم في النَّاسِ أحياءُ[١]

وكانَ إبراهيمُ بن أدهم يُنْشِدُ:

مـا أحـدٌ أنعـمُ مِـنْ مُفْرَدٍ فـي قَبـرِه أعمالُـه تُؤنِسُـهْ

مُنَعَّـمُ الجسـمِ فـي رَوْضَـةٍ زَيَّنهـا الله فَهِـيْ مَجْلِسُـهْ[٢]

رؤي بعضُ الصَّالحينَ في المنامِ بعدَ موتِه، فقال: نحنُ بحمدِ اللهِ في بَرزَخٍ محمودٍ، نفترِشُ فيه الرَّيحانَ، ونتوسَّدُ فيه السُّنْدُسَ والإستَبرقَ إلى يومِ النُّشُورِ[٣].

رؤي بعضُ الموتى في المنَامِ، فسُئِلَ عن حالِ الفُضَيلِ بن عِيَاضٍ، فقال: كُسِيَ حُلَّةً لا تقومُ لها الدُّنيا بحواشِيها[٤].

فأمَّـا عيـشُ المتَّقيـنَ فـي الجنَّةِ فـلا يحتاجُ أنْ يُسـأَلَ عن طِيبِـهِ ولذَّتِـه، ويكفي في ذلـكَ قولُـه تعالـى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٤] ومعنى: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي: عِيْشَةٌ يحصلُ بهـا الرِّضى.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٠).

(٢) هو مما قرأه إبراهيم بن أدهم مكتوباً على قبر ببلاد الشام، أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٧٠٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» ـ وليس في المطبوع منه ـ ومن طريقه: ابن الجوزي في «البر والصلة» (١٩٩). ونقله من كتاب ابن أبي الدنيا: ابن القيم في كتاب «الروح» في أوله، والمصنف في «أهوال القبور».

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٥٣) من طريق ابن أبي الدنيا. والرائي هو بعض المكيين، والمرئي هو: سعيد بن سالم القداح.

وفسَّر ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه قولَه: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ بأنَّه لا موتَ فيها[١]، يشيرُ إلى أنه لمْ يَهْنِهِمُ العيشُ إلا بعدَ الموتِ والخلودِ فيها.

قالَ يزيدُ الرَّقَاشيُّ: أمِنَ أهلُ الجنَّةِ الموتَ فطابَ لهُم العيشُ، وأمِنُوا مِنَ الأسْقامِ فهنيئاً لهم في جِوارِ اللهِ طُول المُقَام[٢].

وقالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، [الذاريات: ١٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

«أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً من ينظُرُ في ملكه وسُرُره وقُصورِه مسيرةَ أَلفي عامٍ، يُرى أقصاهُ كما يُرى أدناهُ، وأعلاهم من ينظر إلى وَجْهِ اللهِ بُكرةً وعَشِيًّا[٣].

وقالَ طائفةٌ مِنَ السَّلَفِ: إنَّ[٤] المؤمنَ له بابٌ في[٥] الجنَّةِ مِنْ دارِهِ إلى دارِ السَّلامِ يدخلُ مِنْهُ على رَبِّه إذا شَاءَ بلا إِذْنٍ[٦].

قالَ أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ: وإذا أتاهُ رسولٌ مِنْ ربِّ العِزَّة بالتَّحيَّةِ واللُّطْفِ فلا يَصِلُ إليه حتَّى يستأذِنَ عليه، يقولُ للحاجِبِ: استأذنْ لي على وَليِّ اللهِ فإنِّي لستُ

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩] عن ابن عباس: أي لا تموتون فيها.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٨٧).

(٣) هذا اللفظ مركب من روايات متعددة من حديث ابن عمر رضي الله عنه. أخرجه أحمد (٥٣١٧) (٤٦٢٣)، والترمذي (٢٥٥٣) وذكر الاختلاف في رفعه ووقفه، و(٣٣٣٠) وقال: غريب.

(٤) في (س): «قال بعض السلف: وإن».

(٥) في (س): «بابان من».

(٦) هو من كلام أبي سليمان الداراني رحمه الله، وهو طرف من الأثر التالي.

أَصِلُ إليهِ، فيُعْلِمْ ذلك الحاجبُ حاجباً آخَر حتى يَصِلَ إليه فذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠][1].

فللَّهِ ذاكَ العيشُ بينَ خِيامِها ... وروضاتِها والثغرُ في الرَّوضِ يبسمُ

ولله كم مِنْ خَيْرةٍ إنْ تبسَّمتْ ... أضاءَت لها الجنَّاتُ حين تَبَسَّمُ[2]

ولله وادِيْهَا الذي هُو موعدُ الـ ... ـمَزِيد لوفْدِ الحُبِّ لو كُنْتَ مِنْهُمُ

بذيَّالك الوادِي يهيمُ صبابةً ... مُحِبٌّ يرى أنْ الصَّبابة مَغْنَمُ

ولله أفراحُ المحبِّين عندَما ... يُخَاطِبُهم مولاهُمُ ويُسَلِّمُ

ولله أبصارٌ تَرى اللهَ جَهْرةً ... فلا الضَّيمُ يَغْشاها ولا هِي تَسْأَمُ

فيا نظرةً أهدتْ إلى الوجه نَضْرَةً[3] ... أَمِنْ[4] بعدِها يَسلُو المُحِبُّ المتيَّمُ؟

فَرُوحَكَ قَرِّبْ إنْ أَردتَ وِصَالَهُمْ ... فما نظرةٌ تُشْرى[5] برُوحِكَ مِنْهُمُ

وأقدِمْ ولا تَقْنَعْ بعيشٍ مُنَغَّصٍ ... فما فازَ باللَّذاتِ مَنْ لَيس يُقْدِمُ

وصُمْ[6] يومَكَ الأدنى لعلَّكَ في غَدٍ ... تفوزُ بعيدِ الفِطْرِ والنَّاسُ صُوَّمُ

فَيَا بائِعاً هذا ببَخْسٍ مُعَجَّلٍ[7] ... كأَنَّكَ لا تَدْرِي! بلى سَوْفَ تَعْلَمُ

فإنْ كُنْتَ لا تَدْرِي فتلكَ مُصِيبَةٌ ... وإنْ كنتَ تَدْرِي فالمصيبةُ أَعظمُ[8].

---

(١) أخرجه وضمنه الأثر الذي قبله: البيهقي في «البعث» (٤٠٣). وفي حاشية (ت): «بلغ».

(٢) في «حادي الأرواح»: أضاء لها نور من الفجر أعظم. وفي (س): «أضاء لها الجنان».

(٣) في (س): «إلى القلب نضرة».

(٤) في (ج): «ومن».

(٥) في (س): «فما غلبت نظرة تشترى»!

(٦) في (س): «فصم».

(٧) في (ج): «بعيشٍ منغّص».

(٨) سقطت الأبيات كلها من (ت) و(ع) و(ف) و(ر)، وجاء هنا في (س): «بلغ». والأبيات من قصيدة =

وقولُه ﷺ بعدَ هذا: «وأسألُكَ لذَّةَ النَّظَرِ إلى وجْهِكَ، والشَّوقَ إلى لِقائِكَ من غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ»:

فهذا يشتَمِلُ[١] على أعلى نَعيمِ المؤمنِ[٢] في الدُّنيا والآخرةِ، وأطيبِ عَيْشٍ لهم في الدَّارين، فأمَّا لذَّةُ النَّظرِ إلى وجهِ اللهِ عزَّ وجَلَّ فإنَّه أعلى نَعيمِ[٣] أهلِ الجنَّةِ وأعظمُ لذَّةٍ لهم[٤]، كما في صحيح مُسْلمٍ عن صُهيَبٍ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، نادى المنادِي: يا أهلَ الجنَّةِ إنَّ لَكُمْ عندَ اللهِ مَوْعِداً[٥]، يريدُ أنْ يُنْجِزكُموه، فيقولون: ما هُو؟ ألم يُبَيِّضْ وجُوهَنَا؟ ألم يُثَقِّل موازيننا؟ ألم يُدْخِلْنَا الجنَّةَ؟ ألم يُجِرْنا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيكشِفُ الحِجَابَ فينظُرونَ إليه، فواللهِ ما أعطاهُم شَيئاً هو أحبُّ إليهم مِنَ النَّظَرِ إليهِ، وهو الزيادةُ، ثم تلا رسولُ اللهِ ﷺ هذهِ الآيةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][٦].

وفي روايةٍ لابنِ ماجَهْ وغيرِهِ في هذا الحديثِ: «فواللهِ ما أعطاهُم شيئاً هو أحبُّ إليهِم ولا أقرُّ لأعينهم مِنَ النَّظَرِ إليه»[٧].

طويلة لابن القيم رحمه الله ذكر منها في أول كتابه «حادي الأرواح»، وأيضاً في «طريق الهجرتين». وأورد المصنف في «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٧) أبياتاً منها قرئت على ابن القيم وابن رجب يسمع رحمهم الله تعالى. والبيت الثامن هنا ليس في تلك المصادر.

(١) في (س): «هذا يشمل».

(٢) في (س): «المؤمنين». وفي (ج): «النعم للمؤمنين».

(٣) في (ت) و(ف): «نِعَم».

(٤) في (ج): «لذتهم».

(٥) في (ج): وفي إشارة إلى نسخة في حاشية (ت) و(ف): «عهداً»، وجمع ناسخ (ع) بين الكلمتين.

(٦) أخرجه مسلم (١٨١)، لكن هذا اللفظ أقرب إلى ما أخرجه الترمذي (٣١٠٥)، وهو في الترمذي أيضاً بلفظ مقارب (٢٥٥٢).

(٧) أخرجه ابن ماجه (١٨٧).

وخَرَّجَ عثمانُ الدَّارِميُّ منْ حديثِ ابنِ عُمر مَرفوعاً: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا بَلغَ بهم النعيمُ كلَّ مبلَغٍ، فظنُّوا أنَّه لا نعيمَ أفضلُ منهُ، تجلّى الربُّ تباركَ وتعالى عليهم، فينظرونَ إلى وجهِ الرَّحمنِ تباركَ وتعالى، فنَسوا[١] كلَّ نعيمٍ عاينوه حينَ نَظَروا إلى وَجْهِ الرَّحمنِ»[٢] وخرَّجهُ الدَّارقُطنيُّ بنقصانٍ منه وزيادة فيه[٣]: «فيقولُ يا أهلَ الجنَّةِ هَلِّلوني وكبِّروني وسبِّحوني، كما كُنتم تُهلِّلوني وتكبِّروني وتسبِّحوني في دارِ الدُّنيا، فيتجاوبونَ[٤] بتهليلِ الرَّحمنِ، فيقولُ اللهُ تبارَك وتعالى لداودَ عليه السلام: يا داودُ قُمْ فمجِّدني، فيقومُ داودُ فيمجِّدُ ربَّه عزَّ وجلَّ»[٥].

وفي «سُنَنِ ابنِ ماجَهْ» عن جابرٍ مرفُوعاً: «بينما أهلُ الجنَّةِ في نَعيمهمْ إذْ سَطَعَ لهم نُورٌ فإذا الربُّ جلَّ جلالُه قد أشرفَ عليهم، فقال: السَّلامُ عليكُم يا أهلَ الجنَّةِ، وهو قولُه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] فلا يَلْتفِتُونَ إلى شيءٍ مما هُم فيه منَ النعيمِ ما داموا ينظرونَ إليه»[٦].

وخَرَّجَ البَيهقيُّ مِنْ حديثِ جابرٍ مرفوعاً: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ يزورُونَ ربَّهم تعالى على نجائبَ مِنْ ياقوتٍ أحمرَ، أَزِمَّتها من زُمُرُّدٍ[٧] أخضر، فيأمرُ اللهُ بكُثبانٍ منْ مِسْكٍ أَذْفرَ أبيضَ، فتُثيرُ[٨] عليهم رِيحاً يُقال لها: المثيرةُ[٩]، حتَّى تنتهِي بهم إلى جَنَّة عَدْن،

---

(١) في (س): «فينسون».

(٢) أخرجه في «نقض الدارمي على المريسي» (٢/ ٧١٦)، وفي «الرد على الجهمية» (٩٦).

(٣) في (ج) «وزاد فيه».

(٤) تحرفت في (ت) و(ع) و(ف) إلى: «فيتهاوتون».

(٥) أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (١٧٦).

(٦) أخرجه ابن ماجه (١٨٤).

(٧) في (ع): «زبرجد».

(٨) في (ج): «فينشُر». تصحيف.

(٩) في (ج): «المبشرة». تصحيف.

وهي قَصَبَةُ الجنَّةِ، فتقولُ الملائكةُ: ربَّنا جاءَ القومُ، فيقولُ: مَرْحباً بالصَّادقين، مَرْحباً بالطَّائعين. قال: فيكشف لهم الحجاب فَيَنْظرونَ إليه، ويتمتَّعون بنُورِه، حتى لا يُبْصِر بعضُهم بعضاً، ثم يقول: أرجعوهم[١] إلى القُصورِ بالتُّحَفِ، فيرجِعونَ وقد أبصرَ بعضُهم بعضاً، فذلك قولُه تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[٢] [فصلت: ٣٢][٣].

وفي «مُسنَدِ البزَّارِ» من حديثِ حُذيفةَ مرفُوعاً في حديثِ يومِ المزيدِ: «إنَّ اللهَ يكشِفُ تلكَ الحُجُبَ ويتجلَّى لهم، فيغشَاهُم مِنْ نُورِه ـ ما لولا[٤] أنَّ اللهَ تعالى قَضى ألّا يحترقُوا لاحترقُوا مما غَشِيَهم[٥] مِنْ نُورِه ـ فيرجِعُون إلى منازلهم وقد خَفُوا على أزواجِهم ممَّا غَشِيَهُم مِنْ نورِه فإذا صَاروا إلى مَنَازِلهم ترادَّ النورُ وأمكَنَ، وترادَّ وأمكنَ، حتى يرجِعوا إلى صُوَرِهم التي كانوا عليها»[٦].

ويُروى من حديثِ أنسٍ مرفُوعاً: «إنَّ اللهَ يقولُ لأهلِ الجنَّةِ إذا استَزارَهُم وتجلَّى لهم: سلامٌ عليكُم يا عِبادي، انظُروا إليَّ فقدْ رَضيتُ عَنْكُم. فيقُولونَ: سُبْحانك سُبْحانك، فتتصدَّعُ له مدائِنُ الجنَّةِ وقُصُورُها، ويتجاوبُ فُصُولُ[٧] شَجَرِها وأنهارُها وجميعُ ما فيها: سُبْحانَك سُبْحانَك، فاحتَقَرُوا الجنَّةَ وجميعَ ما فِيها حينَ نَظَرُوا إلى وَجْهِ اللهِ تعالى»[٨].

---

(١) في (ف): «ارجعوا».

(٢) بدلها في (ج): قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٨) مطولًا، وسقط من مطبوعه: «ثم يقول أرجعوهم... إلى: بعضهم بعضاً»، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٨).

(٤) في (ج): «شيء لولا».

(٥) في (س): «يغشاهم» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٦) هذا مختصر أخرجه البزار (٢٨٨١) في حديث طويل. قال علي بن المديني: «هذا حديث غريب».

(٧) في (س): «فيناجونه فيقول» تصحيف.

(٨) جزء من حديث طويل جدًّا في رؤية الحق جل جلاله، أخرجَ ابنُ الجوزي في «الموضوعات»: =

ويُروى مِنْ حديثِ عليٍّ مرفوعاً إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يتجلَّى لأهلِ الجنَّةِ عن وَجْهه فكأنَّهم لم يَروا نِعْمَةً قبلَ ذلكَ، وهو قولُه تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥][1].

ويُروى مِنْ حديثِ أبي جَعفر مُرسلاً: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا زَارُوا ربَّهم تبارك وتعالى، وكَشَفَ لهم عَنْ وَجْهِه قالوا: ربَّنا أنتَ السَّلامُ، ومنكَ السَّلامُ، ولكَ حَقُّ الجلالِ والإكْرامِ، فيقولُ تعالى: مرحباً بعِبادي الذينَ حَفِظُوا وصيَّتي ورَعَوْا عَهدِي، وخافُوني بالغَيبِ، وكانُوا مِنِّي على كُلِّ حالٍ مُشفِقين. فطالما وحَّدتُم وعظَمَتِك وجَلالِك ما قَدَرْناك حَقَّ قَدْرِك، وما أدَّينا إليكَ كلَّ حَقِّك، فأذِن لنا بالسُّجودِ لك. فيقولُ لهم عزَّ وجَلَّ: إنِّي قَدْ وضعتُ عَنكم مَؤُنَةَ العبادة، ولرحتُ لكم أبدانَكم، فطالما أنصَبْتُم لِيَ الأبدانَ، وأعنَيْتُم[2] لي الوجوه، فالآن لفَضيتُم إلى رَوْحي ورَحْمتي وكرامتي، فسلوني ما شِئتم، وتمنَّوا عليَّ أعطِكُم لمنيكم.

= (باب رؤية أهل الجنة ربهم) (٣/ ٢٥٩) طرفاً منه من طريق (ابن شاذان) بسنده إلى ضرار بن صرد عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه. وأورده السيوطي بتمامه في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) وعزاه إلى كتاب «البكاء والرقة» للموفق ابن قدامة رحمه الله.

وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٤) نحوه من رواية النضر بن عربي عن أنس رضي الله عنه. وحديث الرؤية وفيه فضل الجمعة مشهور روي من وجوه عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه جماعة منهم من روى طرفاً منه ومنهم من أخرجه بتمامه، كالشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وأبي يعلى والبزار والطبراني وأبي نعيم وغيرهم، ولا توجد لديهم الألفاظ التي هنا إلا الرضا. فأصل الحديث في فضل الجمعة والرؤية صحيح. ولا يستقيم الحكم عليه بالوضع ـ كما حكم ابن الجوزي ـ إلا على الألفاظ والزيادات المنكرة التي أتى بها الرقاشي أو ضرار بن عمرو، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٥٢).

(٢) في (ف): «وأعنتم».

فإنِّي لم أجزِكم[١] اليومَ بقَدْرِ أعمالِكم، ولكنْ بقَدْرِ رحمَتي وكرامَتي، فما يزالونَ في الأمانيِّ والعَطايا والمواهبِ، حتى إنَّ المقَصِّر منهم في أُمنيَّته ليتمنَّى مثل جميعِ الدُّنيا منذُ خلَقَها اللهُ إلى أنْ أفناها، فيقولُ لهم الربُّ تباركَ وتعالى: لقدْ قَصَّرتم في أمانِيِّكم، ورَضيتم بدونِ ما يَحِقُّ لكم، فقدْ أوجبتُ لكم ما سَألتم وتمنَّيتم، وألحقتُ بكم ذُرِّيتكم، وزِدْتكم ما قَصَّرتْ عنه أمانِيُّكم[٢].

قالَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي ليلى: إذا تجلَّى لهم ربُّهم لا يكونُ ما أُعطُوا عندَ ذلكَ بشيءٍ[٣].

قالَ الحسنُ: إذا تجلَّى لأهلِ الجنَّةِ نَسُوا كلَّ نعيمِ الجنَّةِ[٤].

وكانَ يقولُ: لو عَلِمَ العابدونَ أنَّهم لا يرونَ ربَّهم في الآخرةِ لماتُوا[٥].

وقال: إنَّ أحباءَ اللهِ هُم الذينَ وَرِثُوا[٦] طيبَ الحياةِ وذاقُوا نَعيمَها بما وَصَلوا إليهِ مِنْ مناجَاةِ حَبِيبِهم، وبما وَجَدُوا مِنْ حَلاوَةِ حُبِّهِ في قُلُوبِهم، لا سِيَّما إذا خَطَر على بَالهم ذِكرُ مُشافَهتِهِ، وكَشْفَ سُتورَ الحُجُبِ عنهُ في المقامِ الأمينِ

---

(١) في (ج): «لن أجزيكم».

(٢) أبو جعفر هو السيد الجليل محمد الباقر رضي الله عنه. والأثر أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٥٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١١)، وهو معضل.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٩٣).

(٤) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٧٢).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٩) بهذا اللفظ، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٥٧١) ولفظه: «لذابت أنفسهم في الدنيا».

(٦) في (س): «أورثوا».

والسُّرور، وأراهُم جلالَه وأسمَعهم لذَّةَ كلامِه ورَدَّ عليهِم[١] جوابَ ما نَاجَوه به أيَّام حَيَاتِهم[٢].

أَمَلِي أنْ أراكَ يوماً مِنَ الدَّهْـ ـرِ فأشكُو لكَ الهوى والغَلِيلا
وأناجِيْكَ مِنْ قُربٍ[٣] وأُبْدِي لكَ هَذا الجَوى وهَذا النُّحولا[٤]

قالَ وَهْبٌ: لو خُيِّرتُ بينَ الرؤيةِ والجنَّةِ لاخترتُ الرؤيةَ[٥].

رؤي بشرٌ في المنامِ فسُئِلَ عَنْ حَالِه وحَالِ إخوانِه فقالَ: تركتُ فُلاناً وفُلاناً بين[٦] يدي اللهِ يأكلانِ ويَشْرَبانِ ويتنعَّمانِ. قيل له: فأنت؟ قالَ: عَلِمَ قِلَّة رَغْبتي في الطَّعامِ فأباحَنِي النَّظرَ إليه[٧].

يا حبيبَ القلوبِ مَن[٨] لي سِواكا ارحمِ اليومَ مُذنِباً قَدْ أَتاكا
أنتَ سُؤلي ومُنْيتي وسُروري طَالَ شَوقي متى يكونُ لِقَاكا
ليسَ سُؤلي مِنَ الجِنانِ نعيماً غيرَ أنِّي أريدُها لأَراكا[٩]

---

(١) «عليهم»: سقط من (ت) و(ع) و(ف) ويمكن على هذا أن تقرأ: «ورَدِّ جوابِ».

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٧)، وسبق طرف منه في هذه الرسالة قبلًا.

(٣) في (ج): «قريب».

(٤) لم أجد البيتين عند غير المصنف، وسقطا من (ت) و(ع) و(ف).

(٥) ذكر المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» نحوه عن ابن وهب، وعزاه لابن منده.

(٦) في (ت) و(ف): «ما بين».

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٨٣) والرائي هو عاصم الحربي، وفلان وفلان هما أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق.
وهنا يبتدئ سقط في (ت) و(ع) و(ف).

(٨) في (س): «ما».

(٩) مما سمعه محمد بن المبارك الصوري من عباس المجنون رحمهما الله في جبل لبنان، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٤٥).

قال ذُو النُّونِ: ما طابت الدنيا إلا بذِكرِه، ولا طابت الآخرةُ إلا بعَفْوِه[١]، ولا طابتْ الجنَّةُ إلا بُرؤيته[٢].

قال أبو يزيد: لو أنَّ اللهَ احتجَبَ عن أهلِ الجنَّةِ لاستغاثَ أهلُ الجنَّةِ مِنَ الجنَّةِ كما يستغيثُ أهلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ[٣].

كانَ بعضُ العارفين[٤] يقولُ: ليتَ ربِّي جعلَ ثوابي مِنْ عَمَلي نظرةً إليه، ثم يقولُ: كنْ تراباً[٥].

كان عليُّ بنُ الموفَّقِ يقول: اللَّهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنِّي أعبُدُك خوفاً مِنْ نَارِكَ فعذِّبني بها، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنِّي أعبُدُكَ حُبّاً لجنَّتِكَ فاحْرِمنِيها، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنَّما عَبْدتُك حُباً مِنِّي لكَ وشَوقاً إلى وَجْهِك الكريمِ فأَبِحنيْهِ واصنَعْ بي مَا شِئْتَ[٦].

سَمِعَ بعضُهم قائِلاً يقولُ:

كَبُرتْ هِمَّةُ عَبْدٍ ... طَمِعَتْ في أنْ تَراكا

أَوْمَا حَسْبٌ [لِعَيْنٍ] ... أن تَرَى مَنْ [قد] رَآكا

---

(١) في (ج): «لنجوه».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٧٢).

(٣) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٤) ولفظه: «إن لله خواصَّ من عباده».

(٤) في (س): «الصالحين».

(٥) ذكره المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» منسوباً إلى نافع من عُبّاد الجزيرة.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٧)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٠٣). وقد أجاب المصنف ابن رجب رحمه الله بعد أسطر عما قد يستشكله بعض الناس في مثل هذه العبارات.

ثم شَهَق شَهْقَةً فماتَ[١].

لمَّا غلبَ الشَّوقُ على قُلوبِ المحبينَ استَروَحوا إلى مِثْلِ هَذِه الكَلِماتِ وما تُخفِي صُدُورهم أكبرُ

تجاسرتُ فكاشَفْـ ـتُك لما غَلَبَ الصَّبرُ

فإنْ عنَّفني الناسُ ففي وَجْهِكَ لي عُذْرُ[٢]

أَبصَارُ المحبِّين قَدْ غَضَّتْ مِنَ الدُّنيا والآخِرةِ فلمْ تَفْتَح إلا عِنْدَ مُشَاهَدَةِ مُحبُوبِهم يومَ المَزِيد.

أروحُ وقَدْ خَتَمتُ على فؤادِي بِحُبِّكَ أنْ يحُلَّ به سِواكا

فَلَو أنّي استَطَعْتُ غَضَضْتُ طَرْفي فلَمْ أنظُرْ بِهِ حتَّى أراكَا

أُحِبُّكَ لا بِبَعْضِي بلْ بِكُلِّي وإنْ لم يُبْقِ حبُّكَ لي حَراكا

وفي الأحبابِ مَخْصوصٌ بَوجْدٍ وآخَرُ يدَّعي مَعَهُ اشتراكا

إذا استكبتْ دموعِي في خُدُودِي تبيَّنَ مَنْ بكى ممنَّ تَباكى

فأمَّا مَنْ بَكى فيذوبُ وَجْداً وينطِقُ بالهوى مَنْ قَدْ تَشَاكى[٣]

---

(١) أخرجه القشيري في «الرسالة» (٢/ ٥١٩)، وأصلح البيت الثاني منها.

(٢) البيتان من هزج الحسين بن الضحاك الشاعر المعروف بالخليع، المتوفى سنة (٢٥٠هـ)، ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٧٣)، والصفدي في «الوافي بالوافيات» (١٢/ ٢٣٨) ونسبهما إليه.

(٣) الأبيات للمتنبي «ديوانه بشرح العكبري» (٢/ ٣٨٥ـ٣٩٧) من قصيدة قالها في عضد الدولة، وليس منها البيت الثالث والسادس، فالثالث لأبي نواس، والسادس ذكره ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٥٠٢).

كانَ سمنون المحبُّ ينْشِدُ:

وكانَ فُـؤادي خاليًـا قبـلَ حُبِّـكُمْ ... وكانَ بذِكْـرِ الخَلْـقِ يلهُـو ويَمْـرحُ

فلمَّـا دعَـا قَلْبِـي هـواكَ أجابَـهُ ... فلسـتُ أراهُ عَـنْ فِنائِـكَ يَبْـرحُ

رُمِيتُ ببُعـدٍ عَنْـكَ إنْ كنـتُ كاذِبـاً ... وإنْ كنـتُ فـي الدُّنيـا بغَيـرِكَ أفـرَحُ

وإنْ كانَ شـيءٌ فـي البـلاد بأسْـرِهَا ... إذا غِبْـتَ عَـن عَيْنِـي لِعَينـيَ يَمْلُـحُ

فإنْ شِـئْتَ واصِلْنِي وإنْ شِئْتَ لا تَصِلْ ... فلسـتُ أَرَى قلبـي لِغيـرِكَ يَصْلُـحُ[1].

وأَمَّا الشَّوق إلى لقاءِ اللهِ:

فهو أجل مقاماتِ العارفينَ في الدُّنيا، وقـد رُويَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه كانَ يدعو: «اللهمَّ اجعلْ حُبَّكَ أحبَّ الأشياءِ إليَّ. وَخَشيتَكَ أخوفَ الأشياءِ عندِي، واقطعْ عنِّي حاجاتِ الدُّنيا بالشَّوقِ إلى لِقائِكَ، وإذا أَقررْتَ أعينُ أهلِ الدُّنيا مِنْ دُنياهُم فأقرِرْ عَيني مِنْ عِبَادَتِك»[2].

وإنمـا قـال: «مِـنْ غَيْرِ ضَرَّاء مضـرَّةٍ ولا فِتنَـةٍ مُضِلَّةٍ» لأنَّ الشَّـوقَ إلـى لِقاءِ اللهِ يسـتلزمُ محبَّـةَ المـوتِ، والمـوتُ يقـعُ تمنِّيهِ كثيـراً مِنْ أهـلِ الدُّنيـا بوقـوعِ الضَّراءِ المُضِـرَّةِ فـي الدُّنيـا، وإنْ كانَ مَنْهِيّـاً عنـهُ فـي الشَّـرْعِ، ويقعُ مِنْ أهـلِ الدِّيـن كتمَنِّيهِ

---

(١) والأبيات ذكرها لسمنون: ابن حبيب في «عقلاء المجانين» (ص: ١٠٤) وأبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (١/ ١٦١).

وهذا آخر السقط من (ت) و(ع) و(ف).

(٢) أخرجه الخلدي في «المحبة لله» (٢٤٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٢) من حديث الهيثم بن مالك الطائي، وهو تابعي شامي رحمه الله، والحديث مرسل.

لخشيةِ الوُقوعِ في الفِتَنِ المُضِلَّةِ، فسألَ تمنِّيَ الموتِ خالياً مِنْ هَذينِ الحَالَينِ، وأنْ يكونَ ناشِئاً عَنْ مَحْضِ مَحبَّةِ اللهِ والشَّوقِ إلى لِقائِه، وقَدْ حَصَلَ هذا المقامُ لكثيرٍ مِنَ السَّلَفِ.

قالَ أبو الدَّرداءِ: أُحِبُّ الموتَ اشتياقاً إلى رَبِّي[١].

وقالَ أبو عِنَبَة الخولانيُّ[٢]: كانَ إخوانُكم: لقاءُ اللهِ أحبّ إليهِم مِنَ الشَّهْدِ[٣].

وقالتْ رابعةُ: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ والليالي بالشَّوقِ إلى لِقاءِ اللهِ[٤].

ومَكَثَ فتح بن شخرفٍ ثلاثينَ سنةً لَمْ يرفَعْ رأسَهُ إلى السَّماءِ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ فقال: طالَ شَوقِي إليكَ، فَعَجِّلْ قُدومِي عليكَ[٥].

وكانَ بعضُهم يقولُ في مُناجاتِه: قبيحٌ بعبدٍ ذليلٍ مِثْلي يُعَلِّمُ عظيماً مثلَكَ، اللهم إنَّك تعلمُ أنَّكَ لو خَيَّرتني أنْ تكونَ ليَ الدُّنيا منذ خُلِقَتْ أتنعَّمُ فِيْها حَلالاً لا أُسأَلُ عنها يومَ القِيامَةِ وبينَ أنْ تخرُجَ رُوحي السَّاعةَ [لاخترتُ أن تخرجَ نفسي الساعة][٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٨١١)، وأبو داود في «الزهد» (٢٣٧)، وغيرهما.

(٢) في (ت) و(ف): «عتبة الحولاني»، وفي (س): «عتبة الخواص» وهو تصحيف في الأول، واشتباه في الثاني، والمثبت هو الصواب، وهو صحابي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٢٤)، وفي «الجهاد» (١٢٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٣) في سياق قصة.

(٥) الفتح بن شخرف عابد سائح، توفي ببغداد سنة (٢٧٣هـ) رحمه الله تعالى. والأثر ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥١١). وما بعده سقط من (ت) و(ع) و(ف).

(٦) هذا من كلام أبي عبد الله النباجي، وسقط آخره من (س). واستدرك ما سقط من آخره من «المتمنين» لابن أبي الدنيا (٨٤)، و«حلية الأولياء» (٩/ ٣١١) وقد تصحف في مطبوعهما النباجي إلى الساجي.

قالَ بعضُ السَّلف: إذا ذَكرتُ القُدومَ على اللهِ كنتُ أشدَّ اشتياقاً إلى الموتِ مِنَ الظَّمآنِ الشَّديدِ ظَمَؤُه في اليومِ الحارِّ الشَّديدِ حَرُّهُ إلى الشَّرابِ الشَّديدِ بَرْدُه[١].

أَشْتَاقُ إليكَ يا قَريباً نَائِي ... شَوقَ الظَّامي إلى زُلال الماءِ[٢].

قالَ الجُنيدُ: سمعتُ سَرِيّاً يقولُ: الشَّوقُ أجلُّ مقامِ[٣] العَارِفِ إذا تحقَّقَ فيه، وإذا تحَقَّقَ بالشَّوقِ لها عَنْ كلِّ ما[٤] يَشْغله عَمَّن يَشتاقُ إليه[٥].

رؤي داودُ الطائي في المنامِ على مِنْبرٍ عال، وهو يُنْشِدُ:

ما نالَ عبدٌ مِنَ الرَّحمنِ منزلةً ... أعلى مِنَ الشَّوقِ إنَّ الشَّوقَ محمودُ[٦]

لا زالَ المحبُّون يُرَوِّضُونَ أرواحَهم في الدُّنيا، حتَّى خرجتْ عن أبدانِ الهوى، وصارتْ في حواصِلِ طَيْرِ الشوقِ، فهي تَسْرحُ في رِياضِ الأُنسِ وتَرِدُ حِيَاضَ القُدْسِ، ثم تأوِي إلى قناديلِ المعرفةِ المعلَّقة في المحلِّ الأعلى حولَ العرش كما[٧] قالَ بعضُ العارِفين: القلوبُ جَوَّالةٌ، فقلبٌ يدورُ حولَ العَرْشِ وقَلْبٌ يجولُ حولَ الحُشِّ[٨].

---

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، ذكره أيضاً في «لطائف المعارف» (ص: ٥١١).

(٢) البيت ذكره المصنف في «لطائف المعارف» (ص: ٥١١) وهنا نهاية سقط من (ت) و(ع) و(ف).

(٣) في (س): «مقامات».

(٤) في (س): «شيء».

(٥) أخرجه القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٩٩).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٦٠)، والرائي هو عبد العزيز بن محمد رحمه الله. وفي (ع): «مَنْ عَبَدَ».

(٧) سقط ما بعد الشعر إلى هنا من (ت) و(ع) و(ف).

(٨) القائل هو أحمد بن خضرويه البلخي المتوفى سنة (٢٤٠هـ) رحمه الله تعالى. أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٦).

وبعده سقط من (ت) و(ع) و(ف).

كُلَّما حَلَّتْ نَسَمَاتُ القُدس مِنْ أرجاءِ الأُنسِ على أغصانِ قلوبِ الأحبابِ تمايلتْ شوقًا إلى ذلك الجَنَاب.

كانَ بعضُ السَّلَفِ يمشِي أبداً على قدميه مِنَ الشَّوقِ[١]، وكانَ بعضُهم كأنَّه مخمورٌ مِنْ غَيرِ شَرَابٍ[٢].

يُرَنِّحني إليكَ الشوقُ حتى ... أميلَ مِنَ اليمينِ إلى الشِّمالِ

ويأخُذُني لِذِكركُمُ ارتياحٌ ... كما نشطَ الأسيرُ مِنَ العِقَالِ[٣][٤]

---

(١) قال العلامة ابن رُشيد السبتي في «ملء العيبة»: لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم، وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها، نزلنا عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حل في تلك الديار، فأحسَّ بالشفاء» وذكر قصيدة له، منها:

وحين تبدَّى للعيون جمالها ... ومن بُعدها عنا أديلت لنا قُرباً

نزلنا من الأكوار نمشي كرامة ... لمن حلَّ فيها أن نلمّ به ركباً

نقله لسان الدين ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٢/ ٣٢٣).

والمشي إلى المساجد وثوابه، وردت فيه أحاديث كثيرة، انظر ما أورده المصنف رحمه الله تعالى منها في «اختيار الأولى»: السبب الثاني من مكفرات الذنوب: المشي على الأقدام إلى الجماعات. وأما المشي إلى البيت العتيق فعقد له ابن الجوزي باباً في «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن»، وذكر فيه أخبار مَنْ حجوا إلى البيت العتيق ماشين، منهم من مشى من نيسابور، ومنهم من مشى من قزوين... رحمهم الله تعالى، وقد حجَّ رسول الله ﷺ راكباً.

(٢) أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧٦) ذلك عن عمر بن ذر يصف الربيع بن أبي راشد الكوفي العابد رحمه الله تعالى. وذكر ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص: ٤٣٢) ذلك عن قيس بن الربيع رحمه الله تعالى.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في أبيات للشريف الرضي، في «المدهش» (ص: ٢٣٥)، وفي «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (١/ ٥٦).

(٤) من قوله: «وأما الشوق إلى لقاء الله» إلى هنا سقط من (ج).

أَهْلُ الشَّوْقِ على طَبَقتين:

أحدهما: مَنْ أقلَقَهُ الشَّوقُ ففَنِيَ اصطبارُه.

كانَ أبو عُبيدة الخواصُّ يمشي في الأسواقِ[١]، ويَضْرِبُ على صَدْرِه ويقولُ: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه[٢].

يـا آمِـري بـالـتَّسلِّـي ... مـا لـي مـع الشَّـوق أَمْـرُ

أُمِـرْتُ عـنـك بصـبرٍ ... ولـيـس لي عنك صَبْرُ[٣]

كانَ داودُ الطائيُّ يقولُ[٤] باللَّيلِ: هَمُّكَ عَطَّلَ عَلَيَّ الهُمومَ، وحَالف[٥] بيني وبينَ السُّهادِ، وشَوقي إلى النَّظَر إليكَ أوثقَ[٦] منِّي اللذَّات حال[٧] بيني وبينَ الشَّهَوات، فأَنا في سِجْنِكَ أيُّها الكريمُ مطلوبٌ[٨].

---

(١) في (س): «الخواص ينشد».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٠٧)، وفي «صفة الصفوة» (٢/ ٤١٦)، وفي «صيد الخاطر» (ص: ٤٣١).

(٣) سقط البيتان من (س)، والبيتان في «المدهش» (ص ٥٠٥)، و«المنتظم» (١٥/ ١٦٨). وفي (ج): و(مالي) والتصويب من المصادر.

(٤) في (ج): «ينادي».

(٥) في (س): «خالف» تصحيف، وفي (ج): (حال) ولا يصح به المعنى.

(٦) في (س): «أوبق».

(٧) في (س): «وخالف».

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١٤٧) وفي «التهجد وقيام الليل» (١٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٥٦).

أحبَّايَ[١]: أما جَفْنْ عيني فمقْروحْ وأمَّا فؤادِي فهو بالشَّوقِ مجروحُ
يذكِّرني مرُّ النَّسيمِ عْهودكُم فأزدادُ شوقاً كُلَّما هَبَّت الرِّيحُ
أُراني إذا مَا أظلَمَ الليلُ أشْرقتْ بقَلْبيَ مِنْ نَارِ الغَرامِ مَصابيحُ
أُصَلِّي بذكراكم إذا كنتُ خَالياً ألا إنَّ تَذكارَ الأحبَّة تَسبيُح[٢]

الطَّبقةُ الثانية: مَنْ إذا أقلَقَهم الشوقُ سَكَّنَهم الأنسُ باللهِ فاطمأنتْ قلوبُهم بذِكره وأَنِسُوا بقُربه، وهذهِ حالُ الرسولِ ﷺ وخواصِّ العارفينَ مِنْ أُمَّتِه.

وسُئِلَ الشِّبليُّ: بماذا تستريحُ قلوبُ المحبِّين والمشتاقين؟ فقالَ: بسُرورِهم بمَنْ أحبُّوه واشتاقُوا إليه[٣].

أموتُ إذا ذكرتُكَ ثمَّ أحَيا ولولا ما أُؤمِّلُ ما حَيِيْتُ
فأحيا بالمُنى وأموتُ شَوقاً فكمْ أحيا عليكَ وكمْ أموتُ
شربتُ الحبَّ كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رَوِيتُ[٤]

كانتْ بعضُ الصَّالحات تقولُ: أليسَ عَجباً أنْ أكونَ حيَّة بينَ أظهُركُم وفي قَلْبي مِن الاشتياقِ إلى ربِّي مثلُ شُعَلِ النَّارِ التي لا تُطفأ[٥]؟

---

(١) في (س)، وفي غيرها من رسائل المصنف: «أحبابي»!، والتصويب من (ج) و«المدهش» (ص: ٥٠٢) لابن الجوزي والأبيات فيه.

(٢) من قوله «كلما حلت نسمات القدس من» إلى هنا سقط من (ت) و(ع) و(ف).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٦٣).

(٤) ذكرها في أبيات لعلي بن عبد الرحيم: أبو عبد الرحمن السلمي في «حقائق التفسير» تفسير الآية (٤٢) من سورة الأحزاب. ونسبه الغزالي في «الإحياء» (١٢/ ٥٨١) مع شرحه للشبلي رحمه الله.

(٥) هي عابدة كانت بمكة، ذكر قولها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥١).

أمـوتُ اشـتياقاً ثـم أحَيـا بذكركم وبـينَ التَّراقـي والضُّلـوعِ لَهيـبُ

فمـا عجـبٌ مـوتُ المَشُـوقِ صَبابـةً ولكـنْ بَقَـاه فـي الحيـاةِ عَجيـبُ[1]

هذه أحوالٌ لا يَعْرِفُها إلّا مَنْ ذَاقَها

لا يعـرفُ الشـوقَ[2] إلا مَـنْ يُكابِـدُهُ ولا الصَّـبـابـةَ إلا مَـنْ يُعانِيهـا[3]

فأما من ليس عنده منها خبر فربما لام أهلَها[4]

يـا عـاذلَ المُشـتاقِ دَعْـهُ فإنَّـه لديهِ مِـنَ الزَّفَـراتِ غيـرُ حَشَـاكا

لـو كانَ قلبُـك قلبَـه مـا لُمتـه حاشـاك ممـا عِنْـدَه حاشـاكا[5][6].

* * *

(١) البيتان لأبي علي الحسن بن مسعود ابن الوزير المتوفى سنة (٥٤٣هـ) رحمه الله، ذكرهما له الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣٩٣). وقد وقع في نسخة (س): «فوا عجبا موت الشوق» وفي «تاريخ دمشق»: «موت الغريب».

(٢) في (س): «الوجد».

(٣) من الأبيات السائرة، بذكر الشوق بدلًا من الوجد. وهو لأبي عبد الله البغدادي، الشاعر المعروف بالأبله، المتوفى سنة (٥٧٩هـ) رحمه الله تعالى، ذكره له ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٦٤)، والصفدي في «الوافي بالوفيات» (٢/ ١٧٦)، وغيرهما.

(٤) لخَّص المصنِّف الحافظُ الفقيهُ الإمامُ ابنُ رجب رحمه الله تعالى بقوله هذا الجوابَ على اعتراضاتٍ كثيرة عَلَّق بها كثيرون على تلك النقول والأخبار السابقة عن السلف رضي الله عنهم مستنكرين تلك الأحوال على مَنْ كانوا بالله تعالى ورسوله ﷺ والشرعِ أعرف.

(٥) البيتان للشريف الرضي ضمن قصيدة، وصواب عجز البيت الأول منهما: «يطوي على الزفرات غيرَ حشاكا». والقصيدة في «ديوانه» (٢/ ١٠٩).

(٦) من قوله «وسئل الشبلي بماذا تستريح قلوب المحبين» إلى هنا سقط من (ت) و(ع) و(ف).

قوله ﷺ: «أعوذُ بكَ اللَّهمَّ أنْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَعتدِي أو يُعتَدى عليَّ، أو أكتَسِبَ خَطِيئةً مُحيطةً[1]، أَوْ ذَنْباً لا تَغْفِرُه»:

استعاذَ مِنْ أربعةِ أشياء:

أحدها: **الظُّلمُ مِنَ الطَّرَفين**، وهُو أَنْ يظْلِمَ غيرَه أو يَظْلِمَه غيرُه، وخَرَّجَ أبو داود مِنْ حديثِ أُمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: مَا خَرَجَ رسول الله ﷺ مِنْ بيتي قطّ إلا رفعَ طَرْفَه إلى السَّماء فقالَ: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أَنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلّ، أو أَظْلِمَ أو أُظلَم، أو أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيّ»[2].

وخَرَّجَهُ التِّرمذيُّ وصحَّحه، ولفظُه: «اللهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ أنْ نَزِلَّ أو نَضِلَّ أو نَظْلِمَ أو نُظلَمَ أو نَجهلَ أو يُجهلَ علينا»[3].

فمنْ سَلِمَ مِنْ ظُلْمِ غيرِه، وسَلِمَ الناسُ مِنْ ظُلْمِه فقدْ عُوفي، وعُوفيَ الناسُ منه.

وكانَ بعضُ السَّلَفِ يدعو: «اللهمَّ سَلِّمني وسَلِّم مِنِّي»[4].

والثاني: **العُدوان**، وَقد فرّقَ اللهُ بينَ الظُّلمِ والعُدوانِ في قَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ

---

(١) المثبت من (ت) و(ف)، وفي (ر): «محبطة»، وفي (ع) و(س): «مخطئة»، وانظر ما سبق في أول الرسالة في التعليق على هذا الموضع من الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٢٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وقال: «حسن صحيح».

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥١١) من دعاء سعيد بن المسيب رحمه الله إذا أراد الفتيا أو القول... وذكر عون بن عبد الله بن عتبة عن رجل بمصر في بستان جرت له قصة في زمن ابن الزبير فكان يدعو بهذا الدعاء. أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٠٤) وغيره.

نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠]، وقد يُفرَّقُ بينَ الظُّلم والعدوانِ بأنَّ الظُّلمَ: ما كانَ بغيرِ حَقٍّ بالكُلِّيةِ، كأخذِ مالٍ[١] بغيرِ استحقاقٍ لشيءٍ[٢] منه، وقتلِ نفسٍ لا يَحِلُّ قتلُها.

وأمَّا العُدْوانُ: فهو مُجاوزةُ الحدودِ وتعدِّيها فيمَا أصلُه مباحٌ، مثلُ أنْ يكونَ له على[٣] أحدٍ حَقٌّ منْ مالٍ أو دَمٍ أو عِرْضٍ، فيستَوفي أكثرَ مِنْه فهذا هُو العُدوان، وهُو تجاوزُ ما يجوزُ أخذُه، فيأخذُ ما لَه أخذُه، وما[٤] ليسَ له أخذُه، وهو مِنْ أنواعِ الرِّبا المحرَّمة.

وقد وردَ: «السَّبَّتانِ بالسَّبَّةِ ربا»[٥].

والظُّلمُ المطلَقُ أخذُ ما ليسَ لَه أخذه ولا أَخذُ[٦] شيءٍ منهُ، مِنْ مَالٍ أو دَمٍ أو عِرْضٍ. كلاهُما في الحقيقةِ ظلمٌ، وقد حَرَّم اللهُ الظُّلْم.

وفي الصَّحيحِ عَنِ النبيِّ ﷺ: يقولُ الله عَزَّ وجَلَّ: «يا عِبادي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفْسِي، وجَعلتُه بينكم مُحرَّماً، فلا تَظالموا»[٧].

وفي «الصَّحيحينِ» عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «الظُّلمُ ظُلُمات يومَ القِيامَة»[٨].

---

(١) في (ج): «مال الغير».

(٢) في (س): «شيء».

(٣) في (س): «عند».

(٤) في (س): «إلى ما» بدلًا من «فيأخذ ماله أخذه وما».

(٥) أخرج أبو داود (من رواية ابن العبد وابن داسة) ـ بعد حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه (٤٨٤٣) مرفوعاً: «إن من أربى الربا الاستطالةَ في عرض المسلم بغير حق» ـ حديثَ أبي هريرة مرفوعاً: «إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر: السبتان بالسَّبَّة».

(٦) المثبت من (ج) ونحوه في (س). وسقطت «أخذه» من سائر النسخ.

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفيهما عنه ﷺ قال: «إنَّ اللهَ ليملي للظَّالم حتَّى إذا أَخَذَه لم يفْلِتْه ثمَّ قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»(١).

وفي «صحيح البُخاريِّ» عنه ﷺ قال: «مَنْ كانتْ(٢) عندَه مَظْلِمةٌ لأخيه فليتحلَّله منها ـ فإنَّه ليسَ ثَمَّ دينارٌ ولا دِرهم ـ مِنْ قَبْل أنْ يُؤخَذَ لأخيهِ مِنْ حَسَناتِه، فإنْ لم تَكُنْ له حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئاتِ أخيهِ فطُرِحَتْ عليه»(٣).

وفي «صَحيحِ مُسلمٍ» عنهُ ﷺ قال: «أتدرُونَ من المُفْلِسُ؟» فقالوا: المفلس مَنْ لا دِرْهَمَ له ولا مَتاع، قال: «إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يَأتي يومَ القيامةِ بصَلاةٍ وصِيامٍ وزكاةٍ(٤)، ويأتي قَدْ شَتَمَ هَذَا، [وقَذفَ هذا](٥)، وأكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَب هَذا، فيقتضي هذا مِنْ حَسَناتِهِ وهَذا مِنْ حَسَناتِه، فإذا(٦) فَنِيَتْ حسناتُه قبلَ أَنْ يقْضِيَ ما عَلَيهِ أُخِذَ مِنْ سَيِّئاتِهم فطُرِحَتْ عَليه، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ»(٧).

وفي الحَدِيثِ: «لتُؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلِها يومَ القِيامَةِ، حتى يقادَ للشاةِ الجَلْحاءِ(٨) مِنَ الشَّاةِ القَرنَاء»(٩).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) في (ف): «كانت له».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «وقيام».

(٥) لا توجد في النسخ، وهي ثابتة في «صحيح مسلم».

(٦) في (س): «فإن».

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) في (ف): «الجماء».

(٩) أخرجه مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والشاة الجلحاء: هي الجمَّاء التي لا قرن لها. قال النووي رحمه الله: «ليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة».

وفي حَديثِ عبدِ اللهِ بنِ أُنيسٍ: «وليُسأَلَنَّ الحجرُ لِمَ يَنكِبُ[١] الحجرَ، وليُسأَلَنَّ العودُ لمَ خَدَشَ صَاحِبَه»[٢].

فَخَفِ القَضَاءَ غَداً إذا وُفِّيتَ[٣] ما ... كَسَبَتْ يداكَ اليومَ بالقِسطَاسِ

في مَوْقِفٍ ما فيهِ إلا شَاخِصٌ ... أو مُهْطِعٌ أو مُقنِعٌ للراسِ[٤]

أعضَاؤهم فيه الشُّهودُ وسِجْنُهم ... نَارٌ وحاكِمُهم شَدِيدُ البَاسِ[٥]

إنْ تَمْطُلِ اليومَ الحُقوقَ معَ الغِنى ... فغَداً تؤدِّيها مَعَ الإفلاسِ[٦]

والظُّلم المحرَّم يكونُ تارةً في النُّفوسِ، وأشدُّه في الدِّماءِ، وتارةً في الأموالِ، وتارةً في الأعراضِ، ولهذا قالَ ﷺ في خُطبَتِه في حَجَّةِ الوَداعِ: «إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكمْ حَرامٌ كحُرمَةِ يومِكُم هَذا، في شَهْرِكم هَذا، في بلَدِكم هذا»[٧].

وفي روايةٍ: «ثم قال: ألا اسمعُوا مني تَعيشُوا، ألا لا تَظالموا، ألا لا تَظلموا، إنَّه لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مسلِمٍ إلا عَنْ طِيْبِ نَفْسٍ منه»[٨].

---

(١) في (س): «نكب» وفي (ت) و(ع): «نكث».

(٢) هذا اللفظ زيادة في الحديث المشهور في رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إلى عبد الله بن أنيس شهراً، وهو في القصاص بين الخلائق يوم القيامة. أخرج هذا اللفظ: الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» (٣٣).

(٣) في (س): «وافيت».

(٤) في (ج) و(س): «بالراس».

(٥) في (س): ورد هذا البيت بعد البيت الذي يليه.

(٦) ذكر الأبيات الإمام الذهبي رحمه الله في كتاب «الكبائر» (ص: ١٠٦).

(٧) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٦٩٥)، من حديث أبي حُرَّة الرقاشي عن عمه رضي الله عنه.

وفي «صَحِيحِ مُسلمٍ» عنه ﷺ قال: «كلُّ المسلِمِ على المُسلِمِ حرامٌ، دمُه ومالُه وعِرضُه»(١)، فظُلْمُ العِبادِ شَرٌّ مكتسبٍ، لأنَّ الحقَّ فيه لآدميٍّ مطبوعٍ على الشُّحِّ فلا يتركُ مِنْ حَقِّهِ شيئاً، لاسِيَّما معَ شِدَّة حاجَتِه يومَ القِيامةِ، فإنَّ الأمَّ تفرحُ يومئذٍ إذا كانَ لها حَقٌّ على ولدِها لتأخُذَه منه(٢).

ومَعَ هذا، فالغالبُ أَنَّ الظالمَ تعجَّلُ له العقوبةُ في الدُّنيا وإنْ أُمْهِلَ، كما قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ ليملي للظَّالم حتَّى إذا أَخَذَه لم يفلتْه»(٣)، ثمَّ تلا(٤): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

كانَ بعضُ أكابرِ التَّابعينَ قال(٥) لرجلٍ: يا مُفْلِس! فابتُلي القائِلُ بالدَّينِ والحَبْسِ بعدَ أربعينَ سنةً(٦).

وضربَ رجلٌ أباهُ وسَحَبَه إلى مكانٍ، فقالَ الذي رآهُ: إلى هَاهُنا رأيتُ هذا المضروبَ قَدْ ضَرَبَ أباه، وسحَبَه إليه(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج المروزي في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (١٤١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً «... فتفرح المرأة أن يدور لها على زوجها الحق، أو على ابنها، أو على أختها». وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٠١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٨٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) في (س): «قرأ».

(٥) في (س): «قال بعض التابعين».

(٦) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٢/ ٢٧١) والقصة للإمام الجليل محمد بن سيرين رضي الله عنه.

(٧) وفي «صيد الخاطر» لابن الجوزي (١٥٦٤) ما هو أبلغ من هذا. أن الأب قال: حسبك إلى هاهنا سحبت أبي! نعوذ بالله من العقوق وأهله.

وصادَرَ بعضُ وزراءِ[١] الخُلفاءِ رجُلاً، فأخَذَ منه ثلاثةَ آلافِ دينارٍ، فبعدَ مُدَّةٍ غَضِبَ الخليفةُ على الوَزيرِ، وطلبَ منه عَشَرة آلافِ دينارٍ، فجَزِعَ أهلُه مِنْ ذلكَ، فقال: ما يأخذُ مِنِّي أكثَر مِنْ ثلاثةِ آلافِ دينارٍ، كما كنتُ ظلمتُ. فلما أدَّى ثلاثةَ آلافِ دينارٍ وقَّعَ الخليفةُ بالإفراجِ عَنْه[٢].

فسبحانَ مَنْ هُو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، إنَّ ربَّكَ لبالمرصادِ، حاكمُ العَدْلِ لا يجورُ، وإنَّما يُجازي بالعَدْلِ، وميزانُ عَدْلِه لا يُحابي أحداً، بل يتحرَّرُ فيه مثاقيلُ الذَّرِّ ومثاقيلُ الخَرْدلِ، وكما تَدِينُ تُدَانُ.

فجَانِبِ الظُّلمَ لا تَسْلكْ طريقَتَه[٣] عَواقِبُ الظُّلمِ تُخْشى وهيَ تُنْتَظَرُ

وكلُّ نفسٍ ستُجزى بالَّذي عَمِلَتْ وليسَ للخَلقِ مِنْ دَيَّانهم وَزَرُ[٤]

الثالثُ ممَّا استعاذَ منه: وهو اكتسابُ الخَطيئةِ المُحيطَةِ[٥]، قالَ اللهُ تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

---

(١) في (ف): «ولاة»، وفي حاشيتها كالمثبت.

(٢) الوزير هو المظفر بن علي بن جهير، المتوفى سنة (٥٤٩هـ)، ولي الوزارة للمقتفي سبعة أعوام ثم عزل. والقصة ذكرها ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (١٥٦٦).

(٣) في نسخة أشار إليها في (ف): «مسالكه».

(٤) في (ف): «من ديَّانهم وطر»، وفي (ج) و(س): «من دنياهم وزر». والوَزَرَ: هو الملجأ، والمثبت تلفيقاً من النسخ إنما هو ليستقيم المعنى. والبيتان من قصيدة ذكرت بعض أبياتها في «الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر» لابن فرحون (ص: ١٦٩)، وذكرت أيضاً في «قناطر الخيرات» للفقيه أبي طاهر الجيطالي (٣/ ١٩٣)، ونسبها لإبراهيم الشامي. والشطر الثاني من البيت الأول هنا لا يوجد فيهما.

(٥) «المحيطة» سقطت من (ف)، وتصحفت في (س) إلى «المخطئة»، وفي (ر) إلى: «المحبطة»، وانظر ما تقدم في التعليق على الحديث أول الرسالة.

[البقرة: ٨١]، وفُسِّرتْ إحاطةُ الخطيئةِ بالموتِ على الشِّركِ، وفُسِّرتْ بالموتِ على الذُّنوبِ الموجِبَةِ للنَّارِ مِنْ غيرِ توبةٍ منها[١].

فكأنَّ[٢] ذُنُوبَه أحاطتْ به مِنْ جميعِ جِهاته، فلم يبقَ له مَخْلَصٌ منها، فالخطايا تحيطُ بصاحِبِها حتى تُهْلِكَه.

وقدْ ضَرَبَ النبيُّ ﷺ مَثَلَ الخَطايا التي يتلبَّسُ بها العبدُ بمَثَلِ دِرْعٍ ضيِّقةٍ يلبَسُها، فتضيقُ عليه حتى تَخنُقَه، ولا تنفكُّ عنه إلا بعَملِ الحسناتِ مِنْ تَوْبةٍ أو غيرِها مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ.

ففِي المُسنَدِ عن عُقبةَ بن عَامرٍ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ مَثَلَ الذي يعملُ السَّيئاتِ ثمَّ يعملُ الحسناتِ كمَثَلِ رجلٍ كانتْ عليهِ درعٌ ضيِّقةٌ قد خَنَقَتْه، ثم عَملَ حسنةً فانفكَّتْ حلقةٌ، ثم عملَ حسنةً أُخرى فانفكَّتْ حلقةٌ أُخرى، حتى يخرجَ إلى الأرضِ»[٣]، فلا يخلصُ العبدُ مِنْ ضيقِ الذُّنوبِ عليه، وإحاطتِها به إلا بالتوبةِ والعملِ الصَّالحِ.

كانَ بعضُ السَّلفِ يردِّدُ هذينِ البيتينِ باللَّيلِ ويبكي بكاءً شديداً.

ابكِ لذنبِكَ طولَ اللَّيلِ مُجتهداً ... إنَّ البكاءَ مُعوَّلُ الأحزانِ

لا تنسَ ذنبكَ في النَّهارِ وطولِهِ ... إنَّ الذنوبَ تحيطُ بالإنسانِ[٤]

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٨٢): «فتأويل الآية إذن: مَنْ أشرك بالله واقترف ذنوباً جمة، فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم مخلدون فيها أبداً».

(٢) في (س): «وكأن».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٣٠٧).

(٤) القصة لأبي جعفر القارئ رحمه الله تعالى. أخرجها ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٨٥)، وفي «الهم والحزن» (٧٨).

الرابعُ مما استعاذ منه: الذَّنبُ الذي لا يُغْفَر[١]، ويدخلُ فيه شيئانِ:

أحدُهما: الشِّركُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: أنْ يعملَ العبدُ ذَنباً، ولا يُوفَّقَ لسببٍ يمحُوه عنه، بلْ يلقَى اللهَ به مِنْ غيرِ[٢] سببٍ ماحٍ له، فلا يُغفَرُ له بَلْ يُعاقَبُ عليه، فإنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً أوقَعَه في ذنب ووفَّقه[٣] لأسباب تمحُوهُ عنه:

إمَّا بالتوبةِ النَّصُوحِ، وفي سُنَن ابن ماجَهْ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعاً: «التَّائبُ من الذَّنبِ كمَنْ لا ذَنْبَ له»[٤].

وإمَّا بحسناتٍ ماحِية ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وإمّا أَنْ يُبتَلى بمصائبَ مكفِّرةٍ، «فمَنْ يُرد اللهُ به خَيراً يُصِبْ منه»[٥]، «ولا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ حتى يمشيَ على الأرضِ وليسَ[٦] عليه خطيئةٌ»[٧].

وإمّا أَنْ يُغفَرَ له بشفاعةٍ بإذنِ اللهِ لمَنْ يأذَنُ فيها.

---

(١) في (ج): «الذنوب التي لا تغفر».

(٢) في (س): «يلقى الله بغير».

(٣) سقطت من (ف)، وجاء بدلها: «له».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (س): «ولا».

(٧) طرف من حديث أخرجه الإمام أحمد (١٤٨١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ولفظه: «وما يزال البلاء بالعبد...». وأخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٠٢٣).

أو أنَّه يغْفِرُه[١] بمجرَّدِ فَضْلِه ورحمتِهِ مِنْ غيرِ سببٍ آخرَ، فحينئذٍ يكونُ هذا الذَّنبُ مَغفُوراً.

قالَ بعضُهم: إذا أحبَّ اللهُ عبداً لم يضرَّه ذنبٌ[٢]، ومرادُه أنَّه يمحُوه عنه. وربَّما يجعلُ الذَّنْبَ في حَقِّه سَبباً لِشدَّةِ خَوْفه[٣] مِنْ رَبِّه وذُلِّه وانكسارِه له، فيكون سبباً لرفعِ دَرَجَةِ ذلكَ العبدِ عندَه.

وإذا خذَلَ عَبْداً[٤]، وقضى عليه بذنبٍ لم يوفِّقْه لشيءٍ مِنْ ذلك، فلقيَ اللهَ بذَنْبِه مِنْ غيرِ سببٍ يمحُوه عنه في الدُّنيا، ثمَّ يؤاخِذُه بهِ[٥] في الآخِرَة، فلا يَغْفِرُه له[٦]، فهذا هو الذَّنبُ المستعاذُ مِنْهُ هاهنا.

وحاصِلُ الأَمرِ أنَّ مَنْ عامَلَه اللهُ في ذُنوبه بالعَدْلِ هَلَكَ، ومن عَامَله بالفَضْل نجَا، كما قال يحيى بنُ معاذٍ: إذا وَضَعَ عدلَه على عَبْدٍ[٧] لم يُبقِ له حسنةً، وإذا بَسَطَ فضلَه على عبدٍ[٨] لم يُبقِ له سيئةً[٩].

---

(١) في (س): «وإما أن يغفر». وفي (ج): «أو أنه يغفر له».

(٢) من كلام الشعبي رحمه الله تعالى. والأثر أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٥٠)، والختلي في «المحبة لله» (١٣٨)، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١٨)، ويروى مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه القشيري في «الرسالة» (١/ ٢٠٧)، ومن طريقه ابن النجار في «الذيل على تاريخ بغداد» (١٨/ ٥٦).

(٣) في (ف): «خوفه، من خوفه» سبق قلم، وفي (س): «سبباً لخوفه».

(٤) في (ت) و(ع) و(ف): «وإذا أخذل عبداً».

(٥) في (س): «عليه».

(٦) في (س) و(ج): «ولا يغفره».

(٧) في (ف): «عبده».

(٨) في (ف): «عبده».

(٩) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٥١).

يـا وَيْلَنـا مِـنْ موقـفٍ مـا بِـه أخوفُ مِـن أَنْ يعـدِلَ الحاكِـم
يـا رب عفواً منـكَ عنْ مذنـبٍ أســـرفَ إلا أنَّـــه نـــادمُ[1]

* * *

قولُه ﷺ: «اللهمَّ فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ، ذا الجلالِ والإكرام، فإني أعهدُ إليكَ في هذهِ الحياةِ الدنيا، وأشهِدُكَ وكفى بكَ شهيداً، أني أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنتَ وحدَك لا شريكَ لك، لك الملكُ، ولكَ الحمدُ، وأنتَ على كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُك ورسولُك، وأشهدُ أنَّ وعدَكَ حقٌّ، ولقاءَك حقٌّ، والجنةَ حقٌّ[2] والساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّكَ تبعثُ مَنْ في القبور»:

هـذا الدعاءُ استفتَحهُ بقولِهِ: «اللهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغَيبِ والشهادةِ، ذا الجلالِ والإكرامِ»، وقد قالَ الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

وفي «صحيحِ مسلمٍ»: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يستفتحُ صلاةَ الليلِ بقولِهِ: «اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ تحكُمُ بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ مِنَ الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ تهدِي مَنْ تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ»[3].

وفـي «المسندِ» و«الترمذيِّ» عن معاذٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ سمعَ رجلاً يقولُ: يا ذا

---

(١) ذكرهما الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٢/ ٩١) لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، وهما في «العقد الفريد» (٣/ ١٧٧) ووقع في «اليتيمة»: «يا ويلتا». والبيتان سقطا من (ت) و(ع) و(ف).

(٢) في (ع) و(س) زيادة: «والنار حق» وسبق التنبيه أنها ليست في هذا الحديث.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنه.

الجلالِ والإكرامِ، فقال له[١]: «قد استجيبَ لَكَ، فسل»[٢] والمسؤول في هذا الدعاءِ هو أنَّ العبدَ يعهَد إلى ربِّه في هذه الحياةِ الدُّنيا ويُشهِدُه وكفى به شَهيداً أنَّه يشهدُ له بأصولِ الإيمانِ التي مَنْ وَفى بها فقدْ نجا، وهي الشهادةُ للهِ بالوَحدانيَّةِ، وأتْبَعها[٣] بالشَّهادةِ له بالمُلكِ والحمدِ والقُدرةِ على كلِّ شيءٍ والشهادةِ لمحمَّدٍ ﷺ بالعبوديةِ والرِّسالةِ، والشهادةِ لله بأنَّ وعدَه حَقٌّ، ولقاءَه حَقٌّ، وأنَّ الجنَّةَ حقٌّ[٤]، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القُبور، وقَدْ تضمَّنت هذه الشهادةُ أصولَ الإيمانِ الخمسةِ، فإنَّ مَنْ شهِدَ لمحمدٍ ﷺ بالرِّسالةِ فقَدْ شَهِدَ بما أُمِرَ محمدٌ ﷺ بالشهادةِ بهِ وهو أصولُ الإيمانِ الخمسةُ كلُّها، وهيَ الإيمانُ باللهِ وملائِكَتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ.

وكانَ النبيُّ ﷺ يقولُ في استفتاحِهِ صلاةَ الليلِ: «أنتَ الحقُّ ووعدُك الحقُّ وقولُك الحقُّ، ولقاؤكَ حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ، والنبيون حَقٌّ، ومحمدٌ حَقٌّ»[٥].

وقَدْ أخبرَ اللهُ تعالى عَنْ هودٍ عليه السلام أنَّه قالَ لقومه: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٥].

وقَدْ وردت الأحاديثُ بفَضْلِ مَنْ عَهدَ إلى ربِّه في الدنيا هذا العهدَ، واستشهَدَه

---

(١) في (س): «فقال لقد».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠١٧)، والترمذي (٣٥٢٧)، وقال «حسن». من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) في (س): «وإتباعها».

(٤) في (ع) و(س) زاد: «والنار حق».

(٥) أخرجه البخاري (١١٢٠) (٦٣١٧)، ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

على نَفْسِه بمثلِ هذهِ الشَّهادةِ، ففي «سُنن أبي داودَ» عنْ أنسٍ رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ قالَ حينَ يُصبِحُ أو يُمسي: اللهمَّ إنِّي أصبحتُ أشهِدُكَ، وأشهِدُ حَمَلَةَ عرشِكَ وملائِكَتَكَ وجَميعَ خلقِكَ، أني أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنتَ[1]، وأنَّ محمداً عبدُكَ ورسولُك، أعتقَ اللهُ رُبُعَه مِنَ النَّارِ، ومن قالها مَرَّتينِ أعتقَ اللهُ نصفَهُ من النَّارِ، ومَنْ قالها ثلاثاً أعتق اللهُ ثلاثةَ أرباعِه مِنَ النَّارِ، ومَنْ قالها أربَعاً أعتَقَه اللهُ مِنَ النَّارِ»، وخرجه النسائيُّ والترمذيُّ[2] بمعناه، ورُوي معناهُ مِنْ حَديثِ سلمانَ[3] وعائشة[4].

وفي «المُسنَدِ» عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ قالَ: اللهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ، إنِّي أعهدُ إليكَ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا أني أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنتَ وحدَكَ لا شريكَ لكَ، وأنَّ محمداً عبدُكَ ورسولُك، فإنَّك إنْ تكِلني إلى نَفْسي تُقرِّبْني منَ الشَّرِّ وتُباعِدْني مِنَ الخيرِ، وإني لا أَثِقُ إلا بِرَحْمَتِكَ، فاجعل لي عِنْدَكَ عَهداً تُوفِّينِيْه يومَ القيامةِ، إنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ، إلا قالَ اللهُ عزَّ وجل للملائكةِ يومَ القيامةِ: إنَّ عبدِي قَدْ عَهِدَ إليَّ عَهْداً فأوفُوه إيَّاه، فيدخِلُه اللهُ الجنَّةَ».

قالَ القاسمُ بنُ عبدِ الرحمن: ما في أهلنا جاريةٌ إلا تقولُ هذا[5] في خِدْرِها[6].

* * *

(١) زاد ناسخ (س): «وحدك لا شريك لك». وليس في السنن.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣٠) وأيضاً (٥٠٧٨) من رواية ابن داسة، والنسائي (٩٧٥٣) (٩٧٥٤) واختُلِفَ في لفظه، والترمذي بنحوه (٣٥٠١)، وقال: غريب.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٣)، والطبراني في «الدعاء» (٢٩٩) و(٣٠٠)، وفي «المعجم الكبير» (٦٠٦١ ـ ٦٠٦٢).

(٤) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢)، والطبراني «الأوسط» (٩٣٥٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨٧٧).

(٥) في (ت) و(ع) و(ف): «هذه»، والمثبت من (س) و(ج) وهو الموافق للمسند.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩١٦).

قولُه ﷺ: «وأشهدُ أنَّكَ إنْ تَكِلْني إلى نَفْسي تَكِلْني إلى ضَيعَةٍ وعَورةٍ وذَنْبٍ وخَطيئةٍ، وإني لا أَثِقُ إلا بِرَحمتك».

هذا كما في حَدِيثِ ابنِ مسعودٍ المتقدِّم، «فإنَّك إنْ تَكِلْني إلى نَفْسي تُقَرِّبْني مِنَ الشَّرِّ وتباعِدْني مِنَ الخيرِ، وإني لا أثق إلا برحمتك»، والمقصودُ مِنْ ذَلكَ سؤالُ العبدِ لربِّه أنْ يتولاهُ برحمتِه، وأنْ لا يَكِلَه إلى نَفْسِه.

وفي كتاب «اليوم والليلة» للنَّسائي، عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال لفاطمةَ رضي الله عنها: «ما يَمنَعُكِ أنْ تَسمَعِي ما أُوصيكِ به، أنْ تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حيُّ يا قيُّومُ برَحمتِكَ أَستغيثُ، أصلحْ لي شأني كُلَّه، ولا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَينٍ»[١].

وخَرَّجَه الطَّبرانيُّ، وزادَ فيه: «ولا إلى أحدٍ مِنَ النَّاسِ»[٢].

وخَرَّجَ أبو داودَ والنسائيُّ مِنْ حديثِ أبي بكرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «دعواتُ المكروبِ: اللَّهمَّ رحمَتَكَ أرجُو، فلا تَكِلْني إلى نفسِي طرفةَ عينٍ، وأصلحْ لي شَأني كُلَّه، لا إلهَ إلا أنت»[٣].

وقالَ قتادةُ: لمَّا نَزَلَ[٤] قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] الآيات... قالَ النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ لا تَكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَين»[٥].

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٧٠)، (١٠٣٣٠ مع السنن الكبرى). وفيه: «أو تقولي». وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٥) وصححه على شرط الشيخين، وغيرهما.

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٠٤٦)، وفي «الأوسط» (٣٥٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥١)، وفي «الكبرى» (١٠٤١٢).

(٤) في (ت) و(ع) و(ف): «ولما نزلت».

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٦).

وفي سُنَنِ أبي داودَ، عن عبدِ اللهِ بنِ حَوالةَ رضي الله عنه قال: بعثَنَا رسولُ اللهِ ﷺ لِنَغْنم على أقدامِنا، فرجَعْنا ولم نَغْنَمْ شَيئاً، وقَدْ عَرَفَ الجَهْد في وُجُوهنا، فقال: «اللَّهمَّ لا تَكِلْهم إليَّ فأضعُفَ عنهم، ولا تَكِلْهم إلى أنفُسِهم فيعجِزوا عنها، ولا تَكِلْهم إلى النَّاسِ فيستَأثِروا عليهم»[1].

فإذا وَفَّقَ اللهُ عبداً توكَّل بحِفْظِهِ وكلاءَتِهِ، وهدايَتِه، وإرشادِه وتوفيقِه وتسديدِه، وإذا خَذَله وَكَلَهُ إلى نَفْسِه، أو إلى غَيْره، ولهذا كانتْ هذِه الكلمةُ[2]: حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل كلمةً عظيمةً، وهي التي قالَها إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وقالها محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ قالَ له النَّاسُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣][3]، وقالتها عائشةُ رضي الله عنها حينَ ركبت الناقةَ لما انقَطَعتْ عن الجيشِ[4]، وهي كلمةُ المؤمنينَ، فمن حَقَّقَ التوكُّلَ على اللهِ لم يَكِلْه إلى غيرِه، وتولَّاه بنفسِه.

وحقيقةُ التَّوكُّلِ: كِلَةُ[5] الأمورِ كلِّها إلى مَنْ هي بيَدِه.

فمن توكَّل على اللهِ في هِدايتِه وحِراسته وتوفيقِه، وتأييدِه ونصرِه ورزقِه، وغيرِ ذلكَ مِنْ مَصَالِح دينِهِ ودنياهُ، تولَّى اللهُ مصالِحَه كلَّها، فإنَّه تعالى وَليُّ الذينَ آمنُوا، وهذا هُو حقيقةُ الوثوقِ برحمةِ اللهِ، كما في هذا الدعاءِ: «فإنِّي لا أَثِقُ إلا بِرحمَتِك» فمَنْ وَثِقَ برحمةِ ربِّه، ولم يثقْ بغيرِ رحمتِه فقدْ حَقَّقَ التوكُّل

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢٧).

(٢) في (ج): «كانت كلمة».

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٤ (١٢٢)، وابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» (٤٧)

(٥) في (س): «بكلة».

على ربِّه في توفيقِه وتسديدِه، فهو جديرٌ بأن[١] يتكفَّلَ اللهُ بحفْظِه، ولا يكِلَه إلى[٢] نَفْسِه.

وفي هَذا الحديثِ وصفَ النَّفْسَ بأوصافٍ ذَمِيمة. كلُّ ذلكَ حذراً مِنْ أنْ يُوكَلَ العبدُ إلى ما[٣] هذه صفاته وهيَ أربعةُ أوصافٍ: الضَّيعةُ، والعَورَةُ، والذَّنبُ، والخَطِيئَةُ.

فالضَّيعةُ: هي الضَّيَاعُ، فمنْ وُكِلَ إلى نَفْسِه ضَاعَ، لأنَّ النَّفْسَ ضَيِّعةٌ، فإنَّها لا تدعُو إلى الرُّشدِ، وإنما تدعُو إلى الغَيِّ.

والعَورةُ: هي ما يَنْبَغي سَتْرُه لقُبْحِه ودَناءَتِه، فكذلكَ النَّفْسُ، لِقُبْحِ أوصافِها وسُوءِ أخلاقِها الذَّميمَةِ.

والذَّنبُ والخطيئةُ: معناهُما متقارِبٌ أو مُتَّحِدٌ، وقد يُرادُ بأحدِهما الصَّغائرُ، وبالآخرِ الكبائرُ، وقَدْ وصَفَ الله سبحانَه وتعالى النَّفْسَ بأنَّها أمارةٌ بالسُّوءِ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]. فمَنْ رَحِمَه اللهُ عَصَمَهُ مِنَ السُّوءِ الذي تَأْمُر بهِ النَّفْس.

وفي حديثِ أبي بَكْرٍ الصِّديقِ رضي اللهُ عَنْه أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَه أنْ يقولَ في كُلِّ صَباحٍ ومَساءٍ وعندَ نومِه: «أعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ نفسِي»[٤].

---

(١) في (س): «أن».

(٢) في (ف): «إلا إلى نفسه»، وعلى هذا يكون الضمير في «نفسه» هنا راجعاً إلى لفظ الجلالة قبل ذلك، لا إلى العبد، وقد وضع ناسخ (ف) إشارة إلى عود الضمير لذلك.

(٣) في (س): «من» و(ما) راجعة إلى النفس.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥١)، وأصحاب السنن، وغيرهم.

وأما مَنْ وَكَله إلى نَفْسِه، ولم يَرْحَمْه، فإنَّه يُجيبُ داعِيَ نفسِهِ الأمَّارَةِ بالسُّوءِ، فيفعَلُ كُلَّ سُوءٍ تأمُرُه[١] به نفسُه.

وفي «المُسنَد» والتِّرمذيِّ مرفوعاً: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نفسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ مَنْ أَتبعَ نفسَهُ هَواها وتمنَّى على اللهِ عَزَّ وجَلّ»[٢]، فقَسَّم الناسَ إلى قِسْمَين[٣]: كَيِّسٍ وعَاجِزٍ.

فالكَيِّسُ: هُو اللبيبُ الحازمُ العاقلُ، الذي ينظُرُ في عواقبِ الأمورِ، فهذا يَقْهَرُ نفسَه، ويستعمِلُها فيما يَعْلَم أنَّه ينفَعُها بعدَ موتها، وإنْ كانتْ كارهةً لذلك.

والعَاجِزُ: هو الأحمقُ الجاهلُ، الذي لا يفكِّرُ في العواقب، بل يُتابعُ نفسَه على ما تَهواه، وهِي لا تَهوى إلا ما تَظُنُّ أنَّ فيه لذَّتها وشهوتَها[٤] في العاجِل، وإنْ عادَ ذلكَ بضُرٍّ لها فيما بعدَ الموتِ، وقدْ يعودُ ذلكَ عليها بالضَّرَرِ في الدُّنيا قَبْلَ الآخِرةِ، فهذَا هو الغَالِبُ أو اللَّازِمُ، فيتعجَّلُ تابعُ[٥] هوى نفسِه[٦] العارَ والفضيحةَ في الدُّنيا، وسقوطَ المنزلةِ عندَ اللهِ وعندَ خلْقِه والهوانَ والخزيَ، ويُحرَمُ بذلكَ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ مِنْ علمٍ نافعٍ ورزقٍ واسعٍ وغيرِ ذلك، ومَنْ خالفَ نفسَه، ولم يُتْبِعها هواهَا تعجَّلَ بذلكَ العِزَّ في الدُّنيا، ووَجَدَ بركةَ ذلكَ مِنْ حُصُولِ العِلمِ والإيمانِ والرِّزقِ وغيرِ ذلك.

---

(١) في (س): «كل ما تأمره».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٥٩)، وقال: «حسن». قال: «ومعنى قوله: «من دان نفسه»، يقول: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة».

(٣) هنا خرم في النسخة (ت) إلى آخر الرسالة.

(٤) في (س): «لذاتها وشهواتها».

(٥) في (ج): «متابع».

(٦) في (س): «فيتعجل هو لنفسه».

وقيلَ لبعضِهم: بِمَ بلغَ الأحنفُ بنُ قيسٍ فيكم ما بَلَغَ؟ قال: كانَ أشدَّ الناسِ سُلطاناً على نَفْسِه[١]. فهذه النفسُ[٢] تحتاجُ إلى مُحاربةٍ ومُجاهدةٍ ومعاداةٍ، فإنَّها أعدى عَدُوٍّ لابنِ آدمَ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «المجاهدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَه في اللهِ»[٣].

ورُوي عنه ﷺ أنَّه قالَ: «أعدى عَدُوِّكَ نفسُكَ التي بينَ جَنْبَيك»[٤].

وقال الصِّديق لعُمرَ[٥] رضي الله عنهما في وَصيَّتِه له عِنْدَ مَوْتِه: «أول ما أُحذِّرك نفسُك التي بينَ جَنْبيك»[٦].

وفيه يقولُ بعضُهم:

كيفَ احترازي مِنْ عَدُوّي إذا ... كانَ عَدُوِّي بينَ أَضْلاعِي[٧]

وقالَ عبدُ الله بنُ عمروِ بنِ العاص لمن سَأَله عن الجهاد: ابدأْ بنَفْسِكَ فجاهِدْها وابدأْ بنفسِكَ فاغزها[٨]، ويقال: إنه الجهاد الأكبر، ورُوي مرفوعاً مِنْ وجهٍ ضعيفٍ[٩].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣١٧، ٣٢٢).

(٢) في (س): «النفوس».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩٥١)، والترمذي (١٦٢١)، وقال: «حسن صحيح». من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣٢) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٥) وقع في (ف): «ﷺ»، بدلًا من ذكر الشيخين!، وفي (ج): «وقال الصديق يوماً»!

(٦) أخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٧٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١٦). وليس فيه «التي بين جنبيك» هي مدرجة!.

(٧) من أبيات ذكرها الخرائطي في «اعتلال القلوب» (ص: ٢٦) للعباس بن الأحنف.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٦٢).

(٩) يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: =

فمَنْ مَلَكَ نفسَه وقَهرها ودَانَها عَزَّ بذلكَ، لأنَّه انتصرَ على أَشَدِّ أعدائِه وقَهَرَه وأسَرَه واكتفى شرَّه، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦]، فحَصَرَ الفلاحَ في وِقايةِ شُحِّ نَفْسِه[١]. وشُحُّها: هو تَطَلُّعها إلى ما مُنِعَتْ منه، وحرصُها على ما عند غيرها[٢] ممَّا تشتَهِيه مِنْ عُلُوٍّ وتَرَفُّعٍ ومَالٍ وجَاهٍ وأَهْلٍ ومَسكَنٍ ومَأكَلٍ ومَشْربٍ ومَلْبَسٍ وغيرِ ذلكَ، فإنها تتطلَّعُ إلى ذلكَ كلِّه وتشتهِيه وهو عينُ هلاكِها، ومنهُ ينشأُ البغيُ والحَسَدُ والحِقْدُ، فمَنْ وُقِيَ شُحَّ نفسِه فقَدْ قَهَرها، وقَصَرها على ما أُبيحَ لها، وأُذِنَ لها فيه، وذلكَ عينُ الفَلاحِ.

كانَ بعضُ العارِفينَ يُنْشِدُ:

إذا مـــا عَدَت[٣] النَّفْسُ ... عـــنِ الحـــقِّ زَجَرناها
وإنْ مالتْ عَنِ الأُخرى ... إلـــى الـدُّنـــيا مَنَعْناها
تُخَادِعُنَـــا ونَخْدَعُهـــا ... وبـالـصَّـبـــرِ غَـلَـبْناها
لهـــا خوفٌ مِـــنَ الفَقْرِ ... وفي القَفْـــر أنخناها[٤]

وبـكُـلِّ حـالٍ فـلا يَـقـوى العبدُ على نفسِه إلا بتوفيقِ اللهِ إيَّاه وتولِّيه لهُ، فمَنْ عَصَمَه الله وحَفِظَه تولاهُ ووقاهُ شُحَّ نفسِه وشرَّها، وقوّاهُ على مُجاهَدَتها ومعاداتها،

= وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة العبد لهواه». أخرجه البيهقي في «الزهد» (٣٧٤). وقد أفردتُ الكلام عليه في كتابي «نصر الجهادين بقهر العَدوَّين».

(١) في (س): «وقاية شر النفس». وفي (ج): «النفس» بدل «شح نفسه».

(٢) في (ف): «يضيرها»! وفي (س): «عندها».

(٣) في (س): «عَدَلَتْ».

(٤) ذكر الأبيات في قصة: ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٠٨) لأبي محمد البسطامي رحمه الله، وفي مطبوعها، وفي (ع) و(ج) و(س): «وفي الفقر أنخناها» والمثبت من (ف).

ومَنْ وكَلَه إلى نَفْسِه غَلَبته وقَهرَتْه وأسرَتْه، وجَرَّته إلى ما هُو عينُ هلاكِه، وهُو لا يَقْدِرُ على الامتناعِ، كما يصنَعُ العدوُّ الكافرُ إذا ظَفِرَ بعدوِّه المسلمِ، بل شَرٌّ مِنْ ذلكَ، فإنَّ المسلمَ إذا قتلَه عدُّوه الكافرُ كانَ شهيداً، وأمَّا النفسُ إذا تمكَّنتْ مِنْ صَاحِبها قَتَلته قتلاً يهلِكُ به في الدُّنيا والآخرةِ، وهذا معنى الحديثِ الذي رُويَ مرفوعاً: «ليسَ عدُّوك الذي إذا قَتَلْته كانَ لك نُوراً يومَ القيامة، وإذا[1] قتلَكَ دخلتَ الجنَّة، أعدى عدوِّك نفسُكَ التي بينَ جَنْبَيكَ»[2].

فلهذا كانَ مِنْ أهمِّ ما سألَ[3] العبدُ ربَّه أن لا يَكِلَه إلى نَفْسِه طَرْفةَ عَيْنٍ.

يا ربِّ هَيِّئْ لَنا مِنْ أمرِنا رَشَدا ... واجعلْ معونَتَكَ الحُسنَى لنا مَدَدا

ولا تَكِلْنا إلى تدبيرِ أنفُسِنا ... فالعبدُ يعجِزُ عَنْ إصلاحِ ما فَسَدا[4]

* * *

قولُه ﷺ: «فاغفرْ لي ذُنوبي إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ، وتُبْ عليَّ إنَّكَ أنتَ التوابُ الرَّحيم»:

ختمَ الدُّعاءَ بسؤالِ مغفرةِ الذنوبِ والتوبةِ.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: الدُّنيا إمَّا عِصْمَةُ اللهِ، أو الهَلَكةُ. والآخرةُ إمَّا عفوُ اللهِ أو النارُ[5].

---

(١) في (س): «وإن».

(٢) سبق ذكر طرفه الأخير قبل قليل، وذكر تخريجه ثمة.

(٣) في (ف): «أهم الأمور سؤال».

(٤) من أبيات لعُمارة اليمني، ذكرها العماد الأصفهاني في «خريدة القصر» (٣/ ١٤٠ ـ قسم شعراء الشام).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٧٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٤٣)، من كلام محمد بن يوسف الأصبهاني.

فمَنْ حَصَلَ له في الدُّنيا التوبةُ وفي الآخرةِ المغفرةُ فقَدْ ظَفِرَ بسعادةِ الدُّنيا والآخرةِ.

وقَدْ تكرَّرَ في الكتابِ والسُّنَّةِ ذِكرُ الأمرِ بالتَّوبةِ والاستغفارِ، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وأخبرَ عن هودٍ عليه السلام وصالحٍ وشعيبٍ عليهما السلام أنَّهم أمرُوا أممَهُم بالاستغفارِ والتَّوبةِ، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦] وتركُ الإصرارِ هو التَّوبةُ.

وفي «صَحيحِ مسلمٍ» عَن الأَغَرِّ المُزنيِّ: أنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «يا أيُّها الناسُ تُوبُوا إلى ربِّكم[1]، فإنِّي أتوبُ في اليوم مئة مرة»[2].

وَخَرَّجَهُ النَّسائِيُّ ولفظهُ: «يا أيُّها الناسُ تُوبوا إلى ربِّكم واستغفِروهُ، فإنِّي أتوبُ إلى اللهِ وأستغفِرُه كلَّ يومٍ [مئةَ] مرَّةٍ»[3].

---

(١) في «صحيح مسلم»: «توبوا إلى الله»، وزاد في (س): «واستغفروه» وضبب عليها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢). وفيه: «في اليوم إليه». وفي (س): «أتوب إليه».

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٤)، وهو في «الكبرى» (١٠٢٠٥).

وقد وقع في النسخ: «أكثر من سبعين» وهو سبق نظر من النساخ، والصواب ما أثبتناه ضمن معقوفين، وذكره المصنف رحمه الله تعالى على الصواب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤١).

وفي صَحِيحِ البُخارِيِّ عنْ أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «واللهِ إنِّي لأستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ في اليومِ أكثرَ مِنْ سبعينَ مَرَّةً»(١).

وخرَّجَهُ النَّسائِيُّ(٢) وابنُ ماجَهْ، ولفظُهما: «إنِّي لأستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ كلَّ يومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ»(٣).

وفي «المُسنَدِ» عَنْ حُذيفةَ رضي الله عنه قال: كانَ في لِسَاني ذَرَبٌ على أَهْلِي، ما أعدُوه إلى غيرِه(٤) فذكرتُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ، قال: «أينَ أنتَ مِنَ الاستغفارِ يا حذيفةُ؟ إنِّي لأستغفِرُ اللهَ كلَّ يومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ وأتوبُ إليه»(٥).

وفيه، عنْ أبي مُوسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إني لأستغفِرُ اللهَ كُلَّ يومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ وأتوبُ إليه»(٦).

وفي السُّننِ الأربعةِ عن ابنِ عُمرَ رضي الله عنهما قالَ: إنْ كُنَّا لنَعُدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المجلسِ الواحدِ مئةَ مرةٍ يقولُ: ربِّ اغفرْ لي، وتُبْ عَليَّ، إنَّكَ أنتَ التوابُ الغفور(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) في (ج): «الترمذي» بدل «النسائي». وقد رواه الترمذي (٣٢٥٩) وليس في لفظه: «وأتوب إليه».

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٣٤)، وهو في «الكبرى» (١٠١٩٥)، وابن ماجه (٣٨١٥).

(٤) في (ج) و(س): «غيرهم».

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٣٤٠)، والذَرَبُ: سلاطة اللسان.

(٦) أخرجه أحمد عقب الحديث السابق.

(٧) في (ف): «التواب الرحيم»، وفي (س): «التواب الرحيم الغفور»، والمثبت هو الموافق لما في السنن، أخرجه أبو داود (١٥١١)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٨)، وفي «الكبرى» (١٠٢١٩)، وابن ماجه (٣٨١٤). قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وإنما قدَّمَ ذِكْرَ الشَّهادةِ بالتَّوحيدِ على طَلَبِ المغفرةِ، لأنَّ التوحيدَ أعظمُ الأسبابِ التي تُسْتَجْلَبُ بها المغفرةُ، وعدمُه مانعٌ منَ المغفرةِ بالكُلِّيةِ.

وفي الحديثِ: «ابنَ آدم إنْ جئتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثم لقيتَني لا تُشركُ بي شيئاً لقيتُكَ بقُرابها مَغفرةً»[١].

وفي حديثِ سيِّدِ الاستغفارِ: البدايةُ بذكرِ التوحيدِ قبلَ طلبِ المغفرةِ[٢].

وإذا اعترفَ العبدُ بذَنْبِه، وطلبَ المغفرةَ مِنْ رَبِّه، وأقرَّ له أنَّه لا يغْفِرُ الذنوبَ غيرُه كانَ جَديراً أنْ يُغفَرَ له.

أقِرْ بذنبكَ ثمَّ اطلبْ تجاوزَه ... واعلم بأنَّ جحودَ الذنبِ ذنبانِ[٣]

ولهذا قالَ في الحديثِ: «فاغفرْ لي إنَّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ»[٤]، وكذلكَ في دعاءِ سَيِّدِ الاستغفارِ، وكذلكَ في الدُّعاءِ الذي عَلَّمَهُ الصِّديقَ أنْ يقُولَه في صَلاته[٥]، وإلى هَذا الإشارةُ بقولهِ في القرآنِ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: حسن. وقُراب الأرض: ما يقارب مِلأها.

(٢) أخرج البخاري من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه (٦٣٠٦). وفي أوله: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت». وفي آخره: «فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

(٣) سقط هذا البيت من (ع) و(ف) و(س)، والمثبت من (ج) والبيت بلا نسبة في «الأغاني» (١٣/ ٨٠) و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٧٠) و«التذكرة الحمدونية» (٤/ ١٢٩) باختلاف.

(٤) من حديث لعلي رضي الله عنه، أخرجه الإمام أحمد (٧٥٣)، و(٩٣٠) (١٠٥٦)، وأصحاب السنن: الترمذي (٣٤٤٦)، وأبو داود (٢٥٩٥)، والنسائي (٨٧٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٨٣٤) (٦٣٢٦)، (٧٣٨٧) ولفظه: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

وفي حديثِ أبي ذَرٍّ المرفوعِ يقولُ الله عَزَّ وجَلَّ: «مَنْ عَلِمَ منكم أنِّي ذو قُدرَةٍ على المغفرةِ ثُمَّ استغفَرَني غفرتُ له ولا أُبالي»(١).

وفي حديثِ عليٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ ربَّك ليعجَبُ مِنْ عَبْدِه إذا قالَ: ربِّ(٢) اغفرْ لي ذُنوبي يَعْلَمُ إنه لا يَغْفِرُ الذنوبَ غيرِي»(٣).

وفي الصَّحِيْحِ حديثُ الذي أذنبَ ذَنْباً، فقال: «ربِّ عملتُ ذَنباً فاغفرْ لي، قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: عَلِمَ عبدِي أنَّ لهُ ربًّا يغفرُ الذنبَ، ويأخذُ بالذَّنبِ، قَدْ غفرتُ لعبدِي»، ثم قال في الرَّابعةِ: «فليعملْ ما شَاءَ»(٤)، يعني مَا دامَ على هذا(٥) الحالِ كلَّما أذنبَ استغفرَ.

وفي السُّننِ عن أبي بكرٍ الصِّديقِ رضي الله عَنْه مرفوعاً: «ما أَصَرَّ من استغفرَ، وإنْ عادَ في اليومِ سبعينَ مرةً»(٦).

التوبةُ والاستغفارُ تُقبلُ في جميعِ آناءِ اللَّيلِ والنَّهارِ.

وفي «صَحيح مسلمٍ» مرفوعاً: «إنَّ اللهَ يبسُطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويبسطُ يدَه بالنَّهارِ ليتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ حتى تَطلُع الشَّمْسُ مِنْ مَغرِبها»(٧).

ولكنْ بعضُ الأوقاتِ أرجَى قَبولاً، فإذا وقعت التوبةُ والاستغفارُ في مَظانِّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٤٠)، والترمذي (٢٤٩٥) وقال: حسن، وابن ماجه (٤٢٥٧)، وأصله في مسلم، وهو حديث الشاميين.

(٢) لا توجد في (س) وتوجد في بعض المصادر دون بعض.

(٣) هو طرف من حديث علي رضي الله عنه الذي تقدَّم آنفاً، واللفظ أقرب إلى أبي داود.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (س): «ما دام في هذه».

(٦) أخرجه أبو داود (١٥٠٩)، والترمذي (٣٥٥٩). وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقوي.

(٧) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

الإجابةِ كانَ أقربَ إلى حُصولِ المطلوبِ، ولهذا مَدَحَ اللهُ تعالى المستغفرينَ بالأسحارِ. فقالَ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨] وقالَ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

وفي الصَّحيح: حديثُ النُّزولِ، وأنَّ اللهَ يقولُ كلَّ ليلةٍ حينَ يبقى ثُلثُ الليلِ الآخِرِ: «هَلْ مِنْ مُستَغْفِرٍ فأغفرَ له؟ هَلْ مِنْ تائبٍ فأتوبَ عليه؟»(١).

قالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: ما مِنْ لَيلَةٍ اختلطَ ظلامُها، وأرخَى اللَّيلُ سِرْبالَ سَتْرِها، إلا نادى الجليلُ جَلَّ جلالُه: مَنْ أعظَمُ منِّي جوداً، والخلائقُ لي عَاصُون، وأنا لهم مُراقبٌ؟ أكلؤُهم في مَضَاجِعهم كأنَّهم لم يعصُوني، وأتولَّى حِفْظَهم كأنَّهم لم يُذنِبُوا فيما بَيني وبينَهم، أَجودُ بالفَضْلِ على العاصِي، وأتفضَّلُ على المُسيءِ، مَنْ ذا الذي دَعاني فلم أُلَبِّه؟(٢) أمَّنْ ذا الذي سَألني(٣) فلم أُعطِه؟ أمَّن ذا الذيَ أناخَ ببابي فنَحَّيتُه؟ أنا الفَضْلُ ومني الفَضْلُ، أنا الجواد ومني الجُودُ، أنا الكريمُ ومني الكَرَمُ، ومِنْ كرمي أني أغفرُ للعاصِي بعدَ المعاصي، ومِنْ كرمي أني أُعطي العبدَ ما سألني، وأعطيَه ما لم يسألني، ومِنْ كرمي أني أُعطي التائبَ كأنَّه لم يَعْصِني، فأينَ عني يهرُبُ الخلائقُ؟ وأينَ عن بابي يتنحَّى العاصون؟(٤)

---

(١) أخرج الشيخان حديثَ النزول من طرق، أخرجه البخاري (١١٤٥) (٦٣٢١) (٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨). وهو في «موطأ» الإمام مالك (١/ ٢١٤) وهذا اللفظ في «مسند الإمام أحمد» (٩٥٩١).

(٢) في (ج): «أجبه».

(٣) في (س): «يسألني».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٢) من كلام الفضيل. وذكر في «كنز العمال» (٤/ ٢٢٩) نحوه من حديث أبي هدبة عن أنس، وعزاه للديلمي. =

ما للعصاةِ مَهْرَبٌ مِنَ اللهِ[١] إلا إليهِ فيهربُون منهُ إليهِ، وهذا معنى: لا مَلجأ ولا مَنجا مِنْك إلا إليك.

هربتُ منهُ إليهِ ... بكيتُ منه عليهِ
وحَقِّه هو سُؤلي ... لا زلتُ بينَ يديْهِ
حتى أنالَ وأحظَى ... بما أُرَجِّي لَديهِ[٢]
أسأتُ ولم أحسنْ وجِئتُكَ تائِباً ... وأنّى لعبدٍ عن مَواليه مَهْرَبُ
يؤمِّلُ غُفراناً فإنْ خَابَ ظنُّه ... فما أحدٌ منهُ على الأرضِ أخيَبُ[٣]

هو أرحَمُ بعبادِه مِنَ الوالدةِ بولَدِها، وأفرحُ بتوبةِ عبدِه ممَّن فقَدَ راحِلَتَه بأرض مهلكة، حتى أَيِسَ[٤] منَ الحياةِ ثمَّ وجَدها، يا مطروداً احذرْ أن تفارِقَ عَتَبَةَ بابِهم، يا مرمياً بالبِعادِ إيَّاك أن تبعد عن جَنابِهم، يا مَهْجُوراً ابكِ وترامَ عليهم، يا متوعَّداً بالعِقَابِ لا تهربْ منهُم إلا إليهم.

في حديثِ جابرٍ المرفوعِ: «إنَّ العبدَ ليدْعُو اللهَ، وهو عَليه غضبان، فيعرِضُ عنهُ،

= وفي (ف): «أن أغفر» «أن أعطي» في الموضعين.

وفي (ع): «يتحي».

(١) في (س): «مهربٌ منه».

(٢) هذه الأبيات قالتها مغنية مطربة تدعى: بدعة تابت إلى الله وأنابت. ذكر خبرها وقصتها: ابن قدامة في «التوابين» (ص: ١٧٥). وسقطت الأبيات من (ع) و(ف).

(٣) البيتان لأبي عثمان سعيد بن إسماعيل الواعظ رحمه الله تعالى، أنشدهما بسنده إليه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢٢). وسقطا من (ع) و(ف).

(٤) في (س): «يئس».

ثم يدعوه فيعرض عنه[١]، فلا يزالُ يدعُوه حتى يقولَ الله عزَّ وجَلَّ للملائكة: إن عبدِي قد أبى أن يدعُوَ غيري فقد استجبتُ له»[٢].

كانَ رجلٌ من أصحابِ ذي النُّونِ يطوفُ في السِّكَكِ يبكي وينادي: أينَ قَلْبي؟ أينَ قَلبي؟ مَنْ وَجَدَ قلبي؟ فدخَلَ يوماً بعضَ السِّكَكِ فوجدَ صبيّاً يبكي، وأمُّه تضرِبُه، ثم أخرجَتْه من الدَّارِ، فأغلقتْ الباب دونَه، فجعلَ الصَّبيُّ يلتَفِتُ يميناً وشمالاً، ولا يدرِي أينَ يذهبُ، ولا أينَ يقصِدُ، فرجَعَ إلى بابِ الدَّارِ، فوضَعَ رأسَه على عَتَبَتِهِ فنامَ، فلما استيقظَ جعلَ يبكي ويقولُ: يا أمَّاهُ مَنْ يفتَحُ ليَ البابَ إذا أغلقتِ عني بابَكِ، ومن يُدْنيني مِنْ نفسِه إذا طردتِيني، ومَنْ الذي يُؤوِيني[٣] بعدَ أنْ غضبتِ عليَّ، فرَحِمَتْهُ أمُّه، فقامتْ، فنظرَتْ مِنْ خَلَلِ البابِ، فوجدتْ ولدَها تجرِي الدمُّوعُ على خَدَّيه، مُتَمَعِّكاً في التُّرابِ، ففتحتِ البابَ وأخذَتْهُ، حتى وضَعَتْه في حجرِها، وجعلتْ تُقَبِّلُه وتقولُ: يا قُرَّةَ عيني، وعزيزَ نفسِي، أنتَ الذي حَمَلْتني على نَفْسِكَ، وأنتَ الذي تَعَرَّضتَ لما حَلَّ بِكَ، لو كنتَ أطعتَني لم تلقَ[٤] مني مكروهاً، فتواجَدَ الرَّجُلُ، ثم قامَ وصَاح وقال: قدْ وجدتُ قَلبي، قَدْ وجدتُ قلبي[٥].

هكذا ينبَغِي أنْ يكونَ حالُ العَبدِ معَ رَبِّه.

---

(١) سقطت الجملة من (ع) و(ف) و(س)، والمثبت من (ج).

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠٨).

(٣) في (س): «يدنيني». وفي (ج): «يريدني».

(٤) تصحفت في (ف) إلى: «يكن».

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٥٤).

إذا هَجَـرُوا عِـزًّا وصَلْنـا تذلُّـلا ... وإنْ بعـدوا يأسـاً قَرُبْنـا تَعَلُّـلا

وإن أغلَقُـوا بالهَجْـرِ أبـوابَ وصْلِهِـمْ ... وقالـوا ابعـدُوا عَنَّـا طَلَبنـا التَّوصُّـلا

وقفْنَـا علـى أبوابِهِـم نطلُـبُ الرِّضَـى ... وبالتُّـرْبِ[1] عَفَّرنَـا الخُـدُودَ تذلُّـلا

أَشَـرْنا بتسـليمٍ وإنْ بَعُـدَ المـدى ... إليـهـم وكَلَّفْنَـا الرِّيـاحَ التَّحمُّـلا[2]

* * *

تمَّ هذا الحديثُ وشرحُه، والحمدُ لله وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه وَسلَّم[3].

* * *

---

(١) في (س): «على الترب».

(٢) سقطت الأبيات من (ع) و(ف).

وهي في «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٢٩٤) إلا الثالث منها فبدله بيت آخر.

(٣) هذه خاتمة (ف).

وفي (ع): «تم هذا الحديث، الحمد لله رب العالمين».

وجاء في خاتمة (ج): «والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال العبد الحقير الجاني أبو خليل محمد بن حسين الأنصاري اليماني: وكان الفراغ من نقل شرح هذه الأدعية المأثورة بعد الإشراق قريب ضحى يوم الأحد ثالث عشرة جمادى الأولى من شهور سنة ألف وثلاثمائة وسبعة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الهداة والتابعين لهم بإحسان آمين. آمين. آمين».

وفي (س): آخرُه، والحمدُ لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه، وعزِّ جلاله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم».